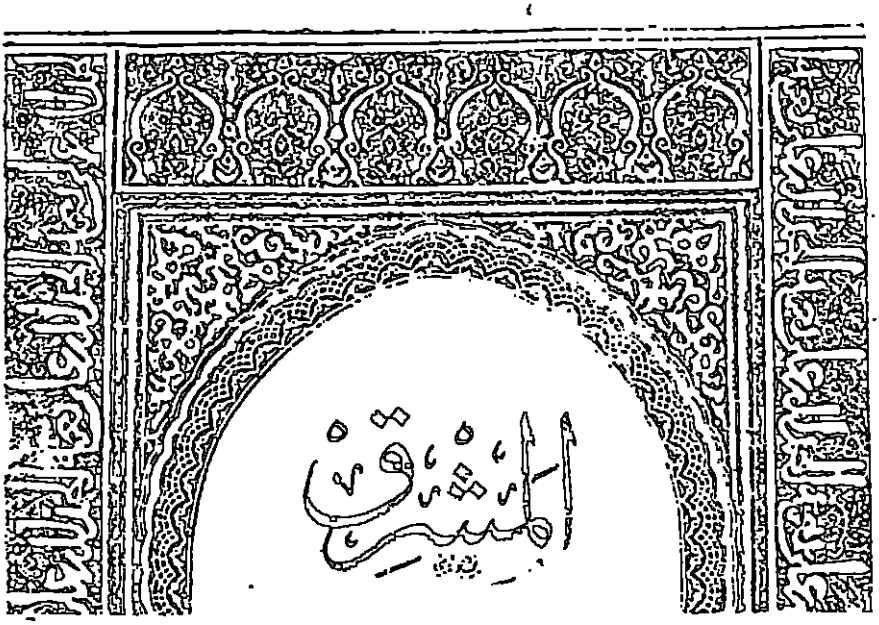

حزيران ١٩٣١

عبرة المنظار

في

نظام الكون

بقلم الفس عبد المسيح زهر

اذا أطلق المرء لرائد طرفه العنان وأرسله يتأمل هذا الكون غير المتناهي ، رأى فيه نظاماً كاملاً بديعاً لا يعروه اختلال ولا يلمّ به تشويش . فاذا كان في الكون نظام ، وجب ضرورة ان يكون لهذا النظام منظم ازلي سرمدي قدير يرعاه ويعتني به ؛ ولولاه لدثر وتلاشى .

في الكون نظام كامل

ما اعظم العجب الذي يستحوذ على المرء لدى نظره الى القبة الزرقاء ، ورؤيته الكواكب الكثيرة المرصعة في كبدها ! فاذا تأمّل المتأمل كثرتها وتفاوتها في الضياء واللمعان والوبيص ، وأنعم النظر في اختلاف الوانها ،

وعرف سرعة سيرها ودورانها ، زاد عجبه ؛ وذلك لانه يرى في هذه العوالم دلائل جلية واضحة على حكمة وفطنة وقدرة لا يسبر غورها ولا يدرك كنهها ، والفى فيها نظاماً يشف عن منعة عقل موجده وعظم مبلغ قدرته غير المتناهية ، وقام في نفسه من اجل ذلك فكر بل افكار تستغرقه بكليته ، وتستوعب مداركه ، وتحمله على قضاء اشد العجب من عظمة المنشئ الاعظم والمبدع الاكبر الذي انشأها وابدعها « اذ بعظم جمال المبروءات يُبصر فاطرها على طريق المقايسة .» [1] فيا ايها الانسان الضعيف ، الذي يقع في خلده انه شيء ، انك تقف حائراً امام هذه العوامل المحدقة بك ، وتدهش من قوتها وفعلها ، والنظام الذي تتبعه في سيرها وتنقلها وحركاتها ، « فهلا تتفهم كم منشئها اقوى منها ؟ »[2]

على ان روية السماء ليلاً طالما شحذت قرائح الشعراء ، وألهمت عقولهم تلك الاقوال الجميلة ، وأثارت في القلب البشري عواطف التعظيم والتمجيد والتقديس لبارئها . فالمرء من عادته ان يملّ من تكرار النظر الى الشيء ، بيد ان النظر الى السماء لا يُملّ ؛ بل كل نظرة اليها تسمو بالناظر الى ما وراء الطبيعة ، اي الى عالم الوجود والارواح . قال اللورد بيرون (Byron) الشاعر المشهور : « عند انتصاف الليل تكون القبة الزرقاء مرصعة بالنجوم ، فكانها حينئذ جزائر انوار في وسط هذا المحيط القائم فوق رؤوسنا . فمن يتأملها ويعوج بنظره على الارض ولا يشعر بحزن وكآبة ؟ »

فمتى سقط قرص الشمس ودبّ الشفق الاحمر في حاشية الافق ، نرى اذ ذاك عيون الكواكب تطلّ علينا من كبد العلياء ، ومهما تصرّم الشفق ودجا الليل ظهرت النجوم منصوبة فيها كالمصابيح المتّقدة ، وشرعت تسبح في اجواز الفضاء كانها كتائب مكتّبة زاحفة الى ساحات القتال كل برج ككتيبة عليها نجم قائد يفوق اصحابه ضياء ولمعاناً . فيا لله ما اجل وابهى هذا المنظر ! « السماوات تنطق بمجد الله والجلد يخبر بعمل يديه . »[3]

ان المسافر او السائح او النافض الساثر في الارض لينفض الاماكن والبلاد

---

١) حك ١٣ : ٥ ٢) حك ١٣ : ١٤ ٣) مز ١٨ : ١

وينظر جميع ما فيها ويعرفه ، اذا اوغل في مجاهل افريقية مثلاً او آسية ، قصّى العجب من كبر الارض واتساع هذه السيارة الصغيرة التي نسكنها. ولكن ما يكون عجبه ودهشه اذا عرف ان حجم المشتري يكبر حجم الارض ١٢٣٤ مرة ، وان حجم ابط الجوزاء (Bételgeuse) يكبر حجم الشمس ٣٠٠ مرة ، وحجم الارض ٢٧,٠٠٠,٠٠٠ مرة ، وان قلب العقرب (Antarès) يكبر الشمس ١١٣,٠٠٠,٠٠٠ مرة ، والارض ٣٧,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠ مرة ، وانه يبقي ١,٢٧٠,٠٠٠ ارض مثل ارضنا لتساوي حجم الشمس ، وان الشعرى العبور (Sirius) تكبر الشمس ثلاث عشرة مرة؟ فلولا النورُ المنبعث من الكواكب لما اخذتها العين بالرغم من كبرها ، ولا وقع عليها البصر ، ولا استطاع الفلكيون قياس ابعادها ومعرفة شرائع سيرها في افلاكها . على ان الابعاد القائمة بيننا وبين الكواكب لا تقاس بالاميال بل بالسنين . من المعلوم ان النور يقطع في الثانية ٣٠٠,٠٠٠ كيلومتر ، ومع كل هذه السرعة فلا يصل الينا من الشمس الا في ثماني دقائق . وبناء عليه فان سنة النور عبارة عن ٩,٤٥٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠ من الكيلومترات واكثر . فاذن ماذا تكون المسافة التي بيننا وبين الشعرى العبور التي يصل الينا نورها في ثماني سنين ونصف سنة ، او بالحري المسافة التي بيننا وبين النجمة القطبية من بنات نعش الصغرى التي لا يصل الينا نورها الا في ٤٥ سنة ؟ وقد ذهب هرشل الى ان نور النجوم البعيدة لا يصل الينا في اقل من مليون سنة.

عدد النجوم . اجمع الفلكيون على ان العين تستطيع ان تبصر نحو ستة آلاف نجم ، وقد تمكنوا من احصاء ٧,٦٠٠ نجم بالعين المجرّدة . ولكن العين لا ترى سوى نصف قبة السماء ولا تأخذ الكواكب التي في حاشية الافق. فاذن العين المجرّدة لا تبصر سوى الفين او الفين وخمسمائة نجم . بيد ان من يتنقل في الارض من مكان الى مكان ويستطيع رؤية الفلك كله يتمكن من رؤية ٦ الاف نجم . فيرى ٢٠ من الكبر الاول و ٥٣ من الثاني ، و١٥٧ من الثالث ، و٥٠٦ من الرابع و١٧٤٠ من الخامس و ٥١٧٠ من السادس. واما ذوات الكبر السابع فهي قليلة جدًّا ولا تتاح رؤيتها الا لمن كان حديد البصر.

ولكن شتان ما بين ما تراه العين المجردة وما يُرى بالمرقب. ففي اواسط الجيل الماضي نظم جروم ده لالند لائحة وضمنها ٤٨,٨٠٠ نجم . وفي سنة ١٨٦٣ اوصلها ارجلندر (Argelander) الالماني مدير مرصد بُن (Bonn) الى ٣٢٤,٢٠٠ . ثم اوصلوها في سنة ١٨٦٥ الى ٥٠٠,٠٠٠ وانتهوا الى الكبر التاسع ووقفوا. واما اليوم فبفضل آلات الرصد والمجاهر والمراقب المتقنة فقد وصلوا الى الكبر الحادي والعشرين واستطاعوا احصاء ستمائة مليون من النجوم ، بل ان هرشل عدّ بمرقبه اكثر من ١٨ مليوناً في المجرّة فقط. وقد ذهب اللورد كلفن (Kelvin) وهنري پوانكاره الى ان النجوم التي ترى بالمرقب تبلغ المليار ، فضلاً عن ركام النجوم كركام الثريا والمجرّة والجاثي (Hercule) ، وعن السُدم اي هذه السفع البيضاء التي هي عبارة عن نوى غازية متخلخلة كل التخلخل متباعدة الذرّات باردة جدًا لان الحرارة لا تتولد الا متى تزاوجت الذرّات وتصادمت تصادماً متواصلاً . وقد عرف العلماء الفلكيون الى اليوم نحو اربعة آلاف سديم . ونزيد على ذلك المذنّبات [1] والنيازك والرجوم. فهذه الكواكب الكثيرة العدد ، والسيارات واقمارها ، والمذنّبات والسدم والنيازك والرجوم كلها تسبح في كبد السماء وتسير بنظام عجيب لا يطرأ عليه اختلال بالرغم من اختلاف حجومها وتفاوت سرعتها وتباين مدد دورانها في افلاكها . فالارض مثلاً تدور على نفسها دورة كاملة في ٢٤ ساعة بسرعة ٤٦٥ متراً في الثانية ، فينتج من هذه الدورة تعاقب الليل والنهار ، وتدور حول الشمس دورة اهليلجية سنوية طولها ٩٣٦ مليون كيلومتر بسرعة ٢٩ كيلومتراً و ٧٦٠ متراً في الثانية ، فينشأ عنها اختلاف الفصول . والشمس تدور على نفسها دورة

١) عرف الفلكيون الى الان نحو ٣٠٠ مذنب. منها ستون تدور دورة اهليلجية في اوقات معلومة ، وهي تابعة لنظامنا الشمسي . ومنها ما ينجز دورته في ثلاث سنين واربعة اشهر كمذنب إنك (Encke) الذي ظهر في شهر آب سنة ١٩٠١ . ومنها ما ينجز دورته في ست سنين وتسعة اشهر ونيف كمذنب ولف (Wolf) الذي ظهر في شهر شباط ١٩١٢ . ومنها ما يحتاج الى ٧٦ سنة وبضعة ايام كمذنب هالي الذي ظهر في نيسان ١٩١٠ ، وسوف يظهر في سنة ١٩٨٦ . اما اذناب هذه المذنبات فطويلة جدًا فمنها ما يبلغ ٣٠٠,٠٠٠,٠٠٠ كيلومتر كالمذنب الذي ظهر سنة ١٨٤٣

كاملة في مدة ٢٥ يوماً وتسير متجهة الى جهة برج النسر الواقع بسرعة ٢٠ كيلومترًا في الثانية . والسيارات التابعة لنظام شمسنا تدور ، والمذنبات تدور ، وكل ما في الكون يتحرك ويسير ويدور ، وما من شيء ثابت . على ان سرعة النجوم في الثانية تقدّر من الثلاثين الى الخمسين كيلومترًا ، ولكن بعضها يقطع ٢٢٥ كيلومترًا بل ٣٥٠ ، مثاله السماك الرامح الذي مبلغ سيره السنوي ١٣,٠٠٠,٠٠٠ مليون كيلومتر . غير ان سرعته عند دنوّه من الارض تهبط الى ٢٧١ كيلومترًا . ثم ان الشعرى العبور تبتعد عنا كل يوم ٢,٨٠٠,٠٠٠ كيلومتر ، وبعدها عنا ٨١ تريليون كيلومتر . وكذلك سيارة نبتون التي اكتشفها (Le Verrier) تدور حول الشمس في ١٦٤ سنة و٢٨٠ يوماً واربع ساعات . فاي نظام اعجب من هذا النظام !

واذا صرفنا بصرنا عن السماء وعجائبها وصوّبناه الى الارض متأملين المواليد الثلاثة اي المعادن والنبات والحيوان ، رأينا هناك ايضاً ما يحيّر الالباب ويخلب القلوب . فالمولود الاول يتناول الشمس والقمر والقسم الاكبر من الارض ويحيي اخويه ، ويضمن لهما الدوام والبقاء ، ولولاه لما عاش النبات والحيوان . على ان الثقل مثلاً والضغط الهوائي يؤثران في حياة الاثنين . ولما كان الثقل مناسباً لحجم الارض نتج من ذلك ان زيادته ونقصانه يعملان في الانسجة التي تتركب منها الاجسام الحية ، وفي العضلات والدم الذي يسقيها ويحييها بذهابه وايابه . ولولا هذا لباد المولودان او احتاجا الى تغيير يدخل على آلاتهما . فاذن الشمس والقمر والجبال والرمال والصخور والسهول وكل ما في الكون يؤثر في حياة النبات والحيوان والانسان .

فاذا انطفأت الشمس ، سراج النهار ، يوماً — وهذا امر لا بد منه بعد ملايين من السنين لا يعلم احد مقدارها — اضمحلّت الحرارة ، وامتنع بخار الماء ، وانحبس المطر ، وانقطعت الانهار والعيون ، وشمل البرد الارض برداءه الصفيق ، وهلك كل حي لان لا حياة بلا حرارة . فالارض اذن محتاجة الى الشمس ولا تستطيع العيش بدونها . ثم ان للقمر تأثيرًا وعملاً في الارض . أليس هو العامل في ارتفاع المدّ وانحسار الجزر ؟ فلولا هذه الحركة ولولا امتزاج الهواء بمياه الابحر لانقرض سكانها وبادوا من عند آخرهم .

وكذلك يحتاج النبات والحيوان كل منهما الى صاحبه . فالحيوان محتاج الى النبات ، والنبات محتاج ايضاً الى الحيوان ولا غنية له عنه ، اذ ان الحيوان يستنشق من الهواء الاكسيجن[1] الذي يمجه فيه النبات ، وينفث الحامض الفحمي من رئتيه الى الهواء ، فيستنشقه النبات وينمو به . وعلى هذا النحو لا يزال كل منهما نهم العون على نمائه وصيانة حياته . ولكن لما كان الانسان ملك الخليقة واشرف الكائنات قدراً واكملها جسماً وعقلاً ، خُلق واتى الى عالم الوجود بعد خلق النبات والحيوان ، وتسلط عليهما وسخرهما لخدمته وحفظ حياته . « وليتسلط على سمك البحر وطير السماء والبهائم وجميع الارض وكل الدبابات الدابة على الارض . وقال الله : ها قد اعطيتكم كل عشب يبزر بزراً على وجه الارض كلها وكل شجر فيه ثمر يبزر بزراً يكون لكم طعاماً . » (تك ١ : ٢٦ و ٢٩) قال منسبره : « ان الانسان رب « الطبيعة » وقيمها يتخذ من المواليد الثلاثة الكنّ الذي اليه يأوي ، والثياب التي بها يتدثر ، وادوات الزينة التي بها يتجمل ، والاطعمة التي بها يتغذى ، والروائح الطيبة التي يشمها ، والادوية والعقاقير التي بها يعالج ادواءه ، والقوة التي ترجع اليه نفسه بعد الاعياء ، ويتخذ منها ادوات عمله ومواد اختراعاته ، ويستخدم بها قوى عقله ويرضي اميال خياله وحواسه . . . بل في طوقه ايضاً ان يكتشف القوى الكامنة في الطبيعة وينتفع بها ، ويستخدم الكهرباء بريداً سريعاً لنقل فكره ؛ وبواسطة هذا العامل (الكهرباء) وواسطة البخار زاد قوته على العمل اضعافاً . »[2]

فمَن غير الانسان فتح خزائن الطبيعة ، واستخرج دفائن كنوزها ، واستكشف خفايا اسرارها ، واطلع على غوامض رموزها وآثارها ؟ فهذا المخلوق الصغير

---

١) ان الهواء المحدق بنا من كل جانب مركب من ٢١ جزءاً من الاكسيجن ، و ٧٩ جزءاً من الازوت . وفضلاً عن ذلك فانه يتضمن شيئاً من الارغون *argon* ، ومن *néon* ، ومن *krypton* ، ومن *xénon* ، ومن الهليوم *hélium* . وكل هذه النازات قد اكتشفها العلماء في اواخر الجيل الماضي . ويعود الفضل في ابطال اعتقاد الاقدمين كون الهواء من العناصر الاربعة الى العلامة Lavoisier الذي شرح وبيّن ان الهواء مركب من عنصرين اصليين ، وان التنفس عبارة عن احتراق اذ ان عمل الهواء في اضرام النار عين عمله في اضرام الحياة .

٢) P. Monsabré, *Conférences*, 1871.

الكبير ، والشريف الحقير اصبح ، بفضل عقله ، رب الطبيعة وقيمها يسخرها في ما يشاء ويستخدمها في خلق ما لم تخلق . اما انه اتخذ له خيلًا وسراكب ليست من حيوانها ، وناراً ليست من جذلها وعيدانها ، واضواء ليست من شمسها وقمرها ؟ فلو لم تكن المعادن والنبات فانى كان له ذلك ؟ اذن المعدن الركن والقوام ، والنبات والحيوان الكمال ، والانسان القيم المسلط على هذا البناء ، فاذا تضعضع البنيان بقيت الاركان ، وان خرّ سقفه تداعت الجدران . فلا غرو اذن ان قلنا ان الشمس والقمر والارض والمعادن والنبات والحيوان خلقت لمنفعة بني الانسان . فالارض والماء والهواء لا بد منها لحياة النبات ، والارض والماء والهواء والنبات لا بد منها لحياة الحيوان ، والارض والماء والهواء والنبات والحيوان لا بد منها لحياة الانسان الذي زانه الخالق ، عزّ وجلّ ، بالعقل والفهم والاختيار . فالكون كله مسخّر لخدمته وتحت قهره ومشيئته .

ولكن اذا نظرنا بعد اجمال القول الى جسد الحيوان ، وتاملنا اعضاءه ووظائفها ، ودققنا النظر في ما بينها من التعاون والتكافل والتناصر وحسن الاتقان والرونق المعجب والجمال ، اضطررنا بالرغم منا الى القول بوجود صانع حكيم قدير ، صوّر فاتقن ، وركّب فاحسن ، وبيّن لخلائقه قوته وحكمته واعلن . فهذا الانسان الصغير الجامع في شخصه خواصّ المواليد الثلاثة لا عجب اذا تميز عن المواليد عينها وفاقها بعقله وذكائه وارادته واختياره ودينه وتقواه وحسن اخلاقه ، وتوصّل بها الى معرفة ربه وخالقه ، واستخدام الخلائق في منافعه ؛ بينما اننا نرى الحيوان يبصر الشيء المصنوع ولا يستطيع نسبته الى صانعه ، والعمل المتقن ولا يقدر على ادراك ما فيه من حسن الصنعة والاتقان . واما الانسان ، وان جاهلًا اميًا ، فاذا ابصر الشيء المصنوع الذي لا عهد له بمعرفته ، وامعن النظر في اجزائه واقسامه ومادته وآلاته ، وتامل صنعته وكماله انتقل للحال بفكره الى صانع حاذق وفنّي ماهر ، ونسب اليه اجادة عمله واتقان تركيبه . ثم اذا نظر الى الكون الذي يقع تحت بصره وتدبّر عجائبه انتقل بفكره الى فاطره وموجده ، وايقن ان الكل عمله وصنع يديه . فاذا كانت الآلة الحقيرة يظهر فيها اثر صنعة صانعها ، افلا يظهر اثر الصانع الاعظم

مثبتاً في يد الانسان التي تنقبض وتنبسط متى اراد ، او في اذنه. وصماخها وصمخاتها وقوتها على ادراك الاصوات ، او في العين وشبكتها وكثرة عروقها الدقيقة كل الدقة وحسن انتظامها وتقاربها وتجاورها ؟ فهذه الشبكة الحاوية في المليمتر المربع من ٣٠ الى ٤٠ الف عرق تبصر في الثانية ٥٠٠ تريليون من موجات النور المنعكسة . فاي اتقان اعظم من هذا الاتقان الموجود في شبكة العين التي ترى وتميز الالوان والاشكال والانوار الباهرة والضعيفة ! فنيوتن بعد تامله مليًا آلة البصر قال: « او هل يجهل صانع العين معرفة شرائع النور والبصر ؟ »

هذا وانّ آلة الرؤية في كثير من الحشرات عبارة عن مجموع اعين ذات اشكال مربعة او مسدسة متقاربة متلاصقة في اتمّ النظام واكمل الاتقان . فالذبابة لها نحو من اربعة آلاف عين من هذه الاعين الصغيرة ، وللفراشة ام دود القز نحو ستة آلاف ، ولغيرها نحو ١٢ الفاً ؛ وبهذه الاعين كلها ترى الخطر المحدق بها من كل جانب فتهرب منه وتجتنبه .

ثم ان آلة السمع لها عجائبها ايضاً . ففي الصاخ انبوب منطوٍ يشبه صدفة الحلزون مشتمل على جليدات ، والجليدات مشتملة على نحو ستين الف عرق . وكل هذه العروق ممتدة كالاوتار ، وكلها متفاوت في الكبر والصغر ، والطول والقصر . ومن حدث صوت او حسيس اضطربت هذه العروق واهتزّت هذه الاوتار وادرك السامع ذلك الصوت او الحسيس . بل من يستطيع ان يفهم القوى المودعة في المعدة ويدرك كيف تهضم الاطعمة ؟ فكيف يتحول الطعام فينا دماً حاوياً هذه الكريات الحمراء البالغة في الانسان ٥,٦٠٠,٠٠٠ في المليمتر المكعب ، الناقلة الاكسيجن الى انسجة البدن ، والكريات البيضاء الواقفة على الدوام بالمرصاد لجراثيم الامراض تقاتلها وتدفع اذاها ؟ ثم ان في المعدة خمسة ملايين من الغديدات يتحلب منها العصير المعدي ويمتزج بالاطعمة والاشربة ليجعلها دماً جيداً صالحاً لغذاء الجسم ، يتجدّد في الرئتين ويتخلص مما علق به من موادّ فحمية او مائية او ليفية بواسطة الهواء الحامل الاكسيجن ، فيكتسب بعد السواد لونه الاحمر القانئ الجميل . فالهواء والدم يمرّان بالنخاريب الرئوية البالغة ١,٨٠٠ مليون على الدوام وبلا انقطاع طول العمر . واعجب من ذلك العروق

الشعرية الدقيقة كل الدقة الممتدة في الجسم كله الناقلة اليه الحياة والنماء بواسطة الدم . فاذا غرزنا ابرة في جسمنا قطعنا مئات منها . وماذا نقول عن الخلايا البالغة نحو ٨٠٠ مليار ؟ بل في الجسم البشري نحو ٨٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠ من اجزاء مختلفة مركبة كلها يعمل في اتم الاتفاق ، فضلاً عن الحيوان والنبات وما فيهما من العجائب .

هذا النظام عمل عقل

ان هذا النظام العجيب السائد في الكون بين اجزائه كلها الكبيرة والصغيرة ، والشريفة والحقيرة ، صادرٌ ولا ريب عن عقل فائق كل وصف وادراك . فكل من أوتي سلامة العقل وصحة التمييز وسداد الحكم على الاشياء توصل بسهولة الى هذه النتيجة . ولكن اذا كانت ظلمة الشهوة تحول دون النظر الى هذا الكون البديع لتأمل محاسنه ضلّ المرء عن هذه الحقيقة وتجاهلها . ولسنا نقول : جهلها ، لان الانسان لا يستطيع ، لما فيه من العقل ، جهل امثال هذه الحقائق . اما اذا كان مريض العقل فحكمه يكون مريضاً ؛ لان العقل السليم لا يستحيل عليه معرفة مدبر الكون حين اذ يرى ما فيه من النظام . واقامة البرهان اذ ذاك سهلة عليه جداً لا تكلفه مشقة عظمى ؛ وذلك لان كل عمل متقن الصنع مركب من اجزاء متباينة ، واضداد متجاورة متناسقة جارية على وتيرة واحدة ونظام كامل متبع ما طرأ عليه خلل قط منذ الوف بل ملايين من السنين لا يعلم عددها احد الا الله وحده ربّ الزمان وسيد الاكوان ، لا بدّ ان يكون لبه من باب الضرورة علة مدبرة ترعاه وتحفظه وتحوطه .. وقد رأينا اتقان هذا النظام في عالم الكواكب ، والمواليد الثلاثة ، وجسم الانسان . فلو لم يكن لهذه العوامل العديدة المتباينة المتجاورة المتقاربة المتصاقبة المنتشرة في فضاء السماء وآفاق الارض سائس حكيم ، ومدبر عليم يسوقها الى غايتها ، ويحفظ لها كيانها لتلاشت ودثرت ضرورة وبلا محالة .

اننا نعجب من تركيب عين واحدة ، واذن واحدة ، وجسم واحد ؛ ولكن ماذا يكون عجبنا اذا تاملنا عالم النبات ودققنا النظر في انواعه

الكثيرة ، وعالم الحيوان واصنافه المتنوعة ، وعالم الانسان وافراده المختلفة . ففي عالم الحيوان اكثر من ١٠٠,٠٠٠ صنف ، وفي عالم النبات اكثر من ذلك بما لا يقدر . فمن يستطيع احصاء كل صنف من الاصناف الدائرة والباقية والآتية ، وذلك منذ الوف وبعد الوف من السنين ؟ هذا وان العقل والعلم والاختبار يدلنا على ان الخلائق الحية ، موجودة كانت او مفقودة ، مركبة من اجزاء او بالحري من ذرّات متعددة ما اتت ولا تأتي ولن تأتي الى عالم الوجود من تلقاء نفسها ، بل كلها او بالاحرى كل فرد منها احتاج الى مبدع ومصوّر كله عقل وقدرة ليكوّن اجسامها من موادّ واضداد واجزاء متعددة ، ويعطيها اعضاءها المعدّة للنفس ، ولجذب الطعام ثم لهضمه ثم لدفعه ؛ ويهب لها اعصابها وعضلها وعظامها وعروقها وشرايينها واوردتها وقوتها على العمل . فهل يا ترى هذا المجموع العجيب وجد وحده بلا فعل عقل ؟ اليس هذا القول ضرباً من المحال بل حماقة الحماقات ؟ ان ڤولتر كان يتحاشى مباحثة الماديين وملاجّتهم ، ويقتصر على دفع اقوالهم وتزييف براهينهم بقوله : «املأوا كيساً تراباً ثم اجعلوا هذا التراب في برميل وامخضوه زمناً طويلاً فيخرج من البرميل تماثيل ونبات وحيوان .»

فمَن من المعطّلة يجسر على القول : ان ساعة مثلاً ، او آلة تصوير ، او ابرة وجدت وحدها بلا صانع ؟ مع ان الساعة او آلة التصوير آلاتها اقل عدداً من آلات الاذن او العين . فاذا كانوا لا يجسرون على المجازفة في بتّ امثال هذه الاحكام ، فكيف يجازفون في قول اغرب من هذا القول ، ويدّعون ان ساعة هذا الكون ، التي مضى عليها الوف وملايين من السنين وهي جديدة ، وُجدت بلا صانع ؟ واذا كان الاتفاق الاعمى الذي ينسبون اليه خلق العالم لم يستطع منذ اجيال طويلة ان يوجد بيتاً بل كوخاً حقيراً ؛ فكيف اذن يعتقدون صحة ما يقولون ؟

بقي ان العالم صنع الله علّة العلل ورب المنظورات وغير المنظورات . فاذن لقد سفه القائلون : لا اله . قال الجاهل في قلبه لا اله ، واما الحكيم فيقول : ان في الكون الهاً حكيماً قديراً اوجد الاشياء من العدم ويحفظها على الدوام ويدبّرها ويحوطها بعنايته ، له المجد والعزة الى ابد الآبدين .

أمالي السنة : ٨

كلمة « توراة »

بقلم حضرة الاب ا. س. مرمرجي الدومنيكي

١

اصل معناها

مما لا ريب فيه ان اصل كلمة « توراة » ليس بعربي بل عبري . الا ان بعض القدماء من اهل المعاجم العربية تحلوا ، حسب عادتهم المعهودة ، ردّها الى اصل عربي . ودونك ما انتجت مخيلتهم الخصبة : جاء في لسان العرب [1] ما هذا نصه : « التوراة عند ابي العباس تفعلة، وعند الفارسي فوعلة. قال: لقلة تفعلة في الاسماء وكثرة فوعلة... التوراة من الفعل تفعلة ، كانها اخذت من اوريت الزناد ووريتها ، وورد في «صبح الاعشى »: [2] « قال ابو جعفر النحاس في « صناعة الكتّاب »: وهي (اي التوراة) مشتقة من قولهم : ورت ناري ووريت واوريتها ، اذا استخرجت ضوءها . لانه قد استخرج بها احكام شرعة موسى (ع) وكان النحاس يجنح الى ان لفظ التوراة عربي . والذي يظهر انه عبراني معرّب ؛ لان لغة موسى (ع) كانت العبرانية ؛ فناسب ان تكون من لغته التي يفهمها قومه . »

فان كانت عبرية فمن اي فعل مشتقة ؟ الكلمة في هذا اللسان « *Tôrâh* » اسم مشتق من وزن « أفعَل » المزيد وهو « *Hôrâh* » وثلاثيه « *Yârâh* » . وقد جاء هذا الثلاثي بمعنى « القى القرعة » في سفر يشوع بن نون (١٨ : ٦) وبمعنى « رمى السهام » في سفر سموئيل الاول (٢٠ : ٣٦) و« دلّ » (قضاة ١٣ : ٨) و « اوصى ، علّم » (خروج ١٥ : ٢٥) من ذلك جاءت « *Tôrâh* » بمعنى

---

١) لسان العرب ، ج ٢٠ ، ص ٣٦٨

٢) البلقشندي : صبح الاعشى ، ج ١٣ ، ص ٢٥٤

« التعليم ، والوصيـة ، والشريعة » . ويظن ويلهوزن وغيره ان اول استعمال « *Yârâb* » كان للـدلالة على القاء القرعة والسهـام او الازلام في الهياكل ، لاستنباء ارادة الآلهة . وعليه فمدلول « *Tôrâb* » القديم كان طلب معرفة مشيئة الله وتدابيره ، مما كان على الكهنة ان يعلموه للشعب .

وتجاه هذا الاصل العبري ، اصول في غير العبرية من الالسن السامية . ففي الآرامية الكتابية نجد « *Aûrî* » علّم ، وفي الحبشية الجعزية « *H'araua* » القى ، وفي الحبشية الاعجمية « *H'arî* » اعلام ، خبر ، وفي الاكدية « *Arâ* » قاد ، و « *Tarû* » شريعة ، وفي العربية القرآنية « روى ورأى »

ذكر « توراة » في عهدي الكتاب المقدس

« *Tôrâb* » تطلق عند اليهود على كتب موسى الخمسة . وقـد سميت هكذا الآن اغلب مضمونها تشريعي . ومن اسمائها ايضاً : « *Tôrât Elôbim* » « *Tôrât Môsé* ، *Tôrât Yabvé* ، *sêfer Môsé* » . والربانيون يدعونها : « *Miqra* » قراءة ، و « *ḥamîsab ḥumsê battôrâb* » خمسة اخماس الشريعة .

والاسكندريون ، ارباب الترجمـة السبعينيـة ، اطلقوا عليهـا لفظة « *Pentateukos* » اليونانية ، المركبة من « *Penta* » خمسة و « *teukos* » الغلاف او الكيس الذي كانت تحفظ فيه الكتب . وذلك ان « التوراة » لم تكن قديماً مقسمـة ، بل مكتوبة في مجلة او لفافة من رق او غيره ، في غـاية الطول ، ولطولها هذا ، قسموها الى خمس قطع متعادلة ، او تكاد ، وضموا كلًا منها في غلاف . ولهذا سميت « *Pentateukos* » الخمسة غلف او اغماد .

هذا واعلم انه لا اليهود الفلسطينيون ، ولا الاسكندريون ، ولا غيرهم ، اطلقوا اسم « *Tôrâb* » او « *Pentateukos* » على جميع الاسفار المقدسة او العهد القديم كله .

فعنـد اليهود كانت الكتب الالهية مقسومة الى ثلاثة اقسام كبرى هذه اسماؤها : « *Tôrâb* » الشريعة ، « *Nebiyim* » الانبياء ، « *Ketûbim* » الصحف . وتجد هذا التقسيم منذ ١٣٠ سنة ق.م. في مقدمة يشوع بن سيراخ لمجموعة امثال

جده .. وقد ورد ذكر هذه الاقسام في انجيل لوقا (٢٤ : ٤٤) لكن عوض « الصحف » هناك اسم « المزامير ».

وكل كتاب من الكتب المنزلة يسميه اليهود « *séfer* » سفر ، كما ورد في اشعيا (٢٩ : ١٨) ودعوا المجموعة كلها باسم شامل بصيغة الجمع « *Hassefārim* » الاسفار ، كما يرى ذلك في دانيال (٩ : ٢) واما العنوان الرسمي المحلّى به المجموع كله فهو هذه اسماء الاقسام الثلاثة المذكورة . وقد اخذوا الحروف الاولى من تلك الكلمات الثلاث وصاغوا منها لفظاً واحداً وهو « *Tanakh* » = « תנך » (بلفظ الكاف مثل الخاء) وهذا الاسم المتداول في كلامهم حتى اليوم ، ولا تسمع واحداً منهم يسمي الاسفار كلها « *Tōrāh* »[1] (احفظ هذا).

اما ما اطلقه المسيحيون ، من يونان ولاتين ، على كل كتاب منزّل ، فهو « *Biblos* » او « *Biblisu* » كتاب او سفر ، المأخوذ من « *Bublos* » (*papyrus* ، بردي) لان الكتب كانت تخط غالباً على البردي . وهذا ما يقابل « *sifer* » العبرية . وعليه سميت الاسفار الالهية « *Biblia* » تجد لها ذكراً في سفري المقابيين ، في السفر الاول (١٢ : ٩) « *Ta biblia ta agia* » (الكتب المقدسة) . وفي السفر الثاني (٨ : ٢٣) « *E iera biblos* » (الكتاب المقدس) .

من اليونانية انتقلت الكلمة الى اللاتينية . لكنها ، مع الزمان ، بعد ان كانت جمعاً مجرّداً ، اضحت مفرداً مؤنثاً . وعلى هذه الصورة دخلت جميع اللغات الفرنجية الحالية « *bible, biblia* »

في الكنيسة الكاثوليكية تقسم الاسفار المقدسة « *Biblia* » الى قسمين كبيرين . يدعى اولهما « العهد القديم » الشامل كتب اليهود كلها ، والاسفار القانونية الثانية . وثانيهما « العهد الجديد : « *ai graphai* » الكتب ؛ وفي اللاتينية « *scriptura* »[2] اما المفرد « *e graphē* » (الكتاب) فيدلّ على

---

١) زيادةً في التحقيق سألنا حضرة الاب دورم ، مدير مدرستنا ، وبعض اساتذة الجامعة العبرية القدسية ، وغيرهم من المتضلعين من العبريات ، فكان جوابهم تصويباً لفكرتنا .

٢) راجع الآيات الآتية : متى ٢١ : ٤٢ ، ٢٢ : ٢٩ : لوقا ٢٤ : ٣٢ : يوحنا ٥ : ٣٩ : اعمال ١٨ : ٢٤

نصّ خاصّ (لوقا ٤:٢١) ووردت احياناً باسم « *graphai agiai* » (الكتب المقدسة) (رومة ١ : ٢)

وقد ذكر فيه ايضاً الاقسام المهمة للعهد القديم ، مثل الشريعة « *Nomos* » والانبياء ، والمزامير (لوقا ٢٤:٤٤) او الشريعة والانبياء (اعمال ٢٨ : ٢٣) او الشريعة (اعمال ١٢:٢٤) [1]

« توراة » في القرآن وكتب تفسيره

هذه اللفظة كثيرة الورود في المصحف . ودونك بعض الآيات القرآنية مشفوعة بنصوص اشهر المفسرين:

سورة آل عمران ٣ : « وانزل التوراة والانجيل من قبل هدًى للناس . »

الطبري [2] جزء ٣ ، ص ١١١ : « يعني بذلك جلّ ثناؤه : وانزل التوراة على موسى ، والانجيل على عيسى من قبل الكتاب الذي انزله عليك . . . كما انزل الكتب على من كان قبلهما . »

عمران ٤٨ : « يعلّمه (لعيسى) الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل »

الطبري ٣ : ١٨٩ : « يعلمه « الكتاب » وهو الخط الذي يخطه بيده ، « والحكمة » وهي السنة التي نوحيها اليه بغير كتاب ، « والتوراة » وهي التوراة التي انزلت على موسى ، كانت فيهم من عهد موسى ، « والانجيل » انجيل عيسى ، ولم يكن قبله . »

---

١) في شأن كل ما بسطناه في هذا القسم من المقال ، اطلب المصادر التالية :

F. Brown *etc, Heb. et Engl. lex. p 434 et 435.*

Elmaleh, *Dic. heb. fran. c. 648 et 1681.*

Hastings, *Dict. of the Bible, t.I, p. 285 ; t.III, p. 64.*

Vigouroux, *Dic. de la Bible t.I, c. c. 1775-76 ; t.V, c. 10.*

» *Manuel biblique t.I, pp. 1-3 ; 298.*

H. Hoepfel O. S B., *Introductionis in sacros utriusque Testamenti libros compendium. Vol. II p. 1.*

٢) ابو جعفر محمد بن جرير الطبري : كتاب البيان في تفسير القرآن .

في القرآن كلمة اعم من كلمة « التوراة » وهي « الكتاب » فهي تارة تدلّ على الوحي من باب الاطلاق ، واخرى على التوراة وحدها ، ومرة على الانجيل بمفرده ، وطوراً على كليهما معاً ، وطوراً آخر على القرآن. وهاك بعض الايات والتفاسير المبيّنة لذلك:

سورة البقرة ٢٧ : « ولقد آتينا موسى الكتاب »

البيضاوي [1] ٢٧ : « اي التوراة »

عمران ٦٥ : « يا اهل « الكتاب » لما تحاجون في ابراهيم وما انزلت التوراة والانجيل الا من بعده . »

الطبري ٣ : ٢١٥ وما يليها : « يا اهل الكتاب » يا اهل التوراة والانجيل . « وما انزلت التوراة ، والانجيل الا من بعده » ... فكانت اليهودية بعد التوراة ، وكانت النصرانية بعد الانجيل . »

مائدة ٤٨ : « وانزلنا اليك الكتاب مصدقاً لما بين يديه من الكتاب »

الكشاف [2] ١ : ٢٥٨ : « فان قلت: اي فرق بين التعريفين في قوله: « وانزلنا اليك الكتاب » وقوله : « لما بين يديه من الكتاب » قلتُ : الاول « تعريف العهد » لانه عنى به « القرآن » ؛ والثاني « تعريف الجنس » لانه عنى به « جنس الكتب المنزّلة . »

بقرة ١١٣ : « وقالت اليهود ليست النصارى على شيء . وقالت النصارى ليست اليهود على شيء ، وهم يتلون « الكتاب »

الكشاف ١ : ٧٠ : « وهم يتلون الكتاب « الكتاب » للجنس »

عمران ٧٨ : « وان منهم لفريقاً يلوون السنتهم بالكتاب ، لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب . »

الطبري ٣ : ٢٣١ : « يلوون « يحرّفون » السنتهم بالكتاب « الوحي » لتحسبوه من الكتاب « الوحي »

---

١) القاضي ناصر الدين البيضاوي : انوار التنزيل ، في اسرار التأويل.

٢) جار الله محمود بن عمر الزمخشري : الكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل ، وعيون الاقاويل في وجوه التأويل.

على ان القرآن قد ذكر من الكتب المنزلة ، ما عدا التوراة ، « الزبور والانجيل » :

النساء ١٦٣ : « وآتينا داود زبوراً »

الطبري ٦ : ٢٠ : « انه اسم الكتاب الذي أوتيه داود ؛ كما سمّى الكتاب الذي أوتيه موسى « التوراة » ؛ والذي اوتيه عيسى « الانجيل » ؛ والذي اوتيه محمد « الفرقان »

مائدة ٤٦ : « وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم مصدقاً لما بين يديه من التوراة وآتيناه الانجيل ، فيه هدًى ونور . »

الطبري ٦ : ١٧١ : « وانزلنا اليه كتابنا الذي اسمه الانجيل »

« توراة » في كتب المؤلفين المسلمين

لا يفهم من المعاجم القديمة ماذا يعنى بالتوراة وما تتضمنه . ففي اللسان والتاج وغيرهما لا شرح لها . على ان بعض المصنفين المطلعين على الاديان الاخرى ، وبعض المفسرين العصريين قد اتوا بشيء من الايضاح عنها . من ذلك ما جاء في كتاب صبح الاعشى ، للقلقشندي (جز ١٣ : ص ٣٥٣) : « وكتابهم (اي اليهود) الذي يتمسكون به « التوراة » وهي الكتاب الذي انزل على موسى (ع) وهو اول منزل على بني اسرائيل سمّي كتاباً ؛ اذ ما قبلها من المنزل انما كان مواعظ ونحوها . » ثم ورد في الصفحة التابعة من السفر المسفور :

« واعلم ان التوراة على خمسة اسفار :

اولها : يشمل على بدء الخليقة والتاريخ من آدم الى يوسف (سفر التكوين)

ثانيها : فيه استخدام المصريين بني اسرائيل وظهور موسى الخ . (الخروج)

ثالثها : كيفية تقريب القرابين على سبيل الاجمال . (الاحبار)

رابعها : فيه عدد القوم وتقسيم الاراضي . (العدد)

خامسها : فيه احكام التوراة بتفصيل المجمل . [1] (تتمة الاشتراع)
دونك الآن قولاً لاحد المفسرين العصريين ، وهو محمد علي الهندي ، في كتابه « *Holy Qurân* » (ص ١٤٠) [2]

« Taurât » is the name given to the books of Moses, or the *Pentateuch*, and hense, its correct rendering is hebrew word *Tôrâh*. The *Taurât* does not signify *the Old testament*, because the letter is the name of the whol collection of the books of Israelite prophets, and include the *Taurât*, the *Zabûr* and other books. The word *Kitâb* conveys, however, a more general significance, and signifies sometimes the *Old Testament* and sometimes the *Bible*.[3]

آراء بعض المستشرقين في الموضوع

Père Lammens s. j. [4] :

« Parmi les livre· sai.ts, on accorde (dans le Qoren) une mention speciale à la *Taurât* ou *Pentateuque* des Juifs.

« Parmi les livres révélés et présentés comme tels, seul le *Pentateuque*

---

١) راجع ايضاً : تاريخ ابي الفداء (جزء ١ ص ٨٧) وكتاب « الملل والنحل » للشهرستاني (ص ١٦٣) ؛ وتقع في « صبح الاعشى » ايضاً (جزء ١٣ ص ٢٧٢ وما يليها) على كلمة عن الانجيل ، يعرف منها ما هو في نظر هولاء المصنّفين المسلمين . وفي خلالها ذكر « التوراة » بما يلي : « . . . وكتبوا عدد الكتب التي يجب قبولها ، والعمل بمقتضاها . وهي عدة كتب منها ، الاناجيل الاربعة المتقدمة الذكر ، و« التوراة » التي بايديهم (اي المسيحيين) وجملة كتب من كتب الانبياء الذين قبل المسيح (ع) كيوشع بن نون ، وايوب ، وداود ، وسليمان (ع) وغيرهم » (اذن « التوراة » في نظر هذا المسلم ونظر المسيحيين الناقل عنهم ، كتاب متميّز عن كتب الانبياء الذين قبل المسيح ، وباولى حجة عن الانجيل . فاحفظ ذلك لوقته)

٢) هو مولوي محمد علي ، الزعيم المسلم الهندي ، المتوفى حديثاً في لندن ؛ وقد نقلت رفاته الى القدس ، فدفنت في جوار الحرم الشريف . وهذا عنوان مؤلفه بالانكليزية :
Holy Qurân. Containing the arabic text with english translation and commentary.
Lahore India.

٣) انظر ما يتبع ، في عين الصفحة من السفر المذكور ، ترَ ماذا يعني بالانجيل .

٤) Lammens s. j, *L'Arabie occidentale avant l'Hégire (Les chrétiens à la Mecque) p. 56. — L'Islam p. 56.*

(Taurât), le Psautier et l'Evangile sont spécifiés par leur nom dans le qoran.»

Goldziher (١ :

« Mahomet a accueilli, quelqu'en fut la nature, les apports que lui fournissaient les contacts superficiels auxquels l'amenait son commerce, et il les a le plus souvent, mis en œuvre sans aucun ordre.»

Montet (٢ :

« Il est absolument certain qu'il (Mahomet) n'a jamais eu entre les mains les livres sacrés des Juifs et des chrétiens »

Kasimirski (٣ :

« Et il (Mahomet) ne possédait des Ecritures qu'une connaissance fragmentaire, telle qu'on la puise dans les entretiens et par ouï-dire.»

ان هذين المستشرقين « Kasimirski و Montet » قد ترجما القرآن الى الفرنسية . وقد ادّى الاول كلمة « توراة » دائمًا بلفظة « *Pentateuque* » ؛ والثاني بلفظ « *La loi* » ؛ ولم يعبّرا عنها قط بعبارة « *ancien testament* » او بكلمة « *La Bible* » . اما « الكتاب » فترجمته إمّا « *Ecriture* » وإمّا « *Bible* » . فاحفظه .

(١ Goldziher, *Le dogme et la loi de l'Islam.(Trad. fran. de* F. Arin) *p.* 12.

(٢ Montet, *Mahomet. Le Coran, p.* 29.

(٣ Kasimirski, *Le Coran. Introduction, p.* XXX.

(للبحث صلة)

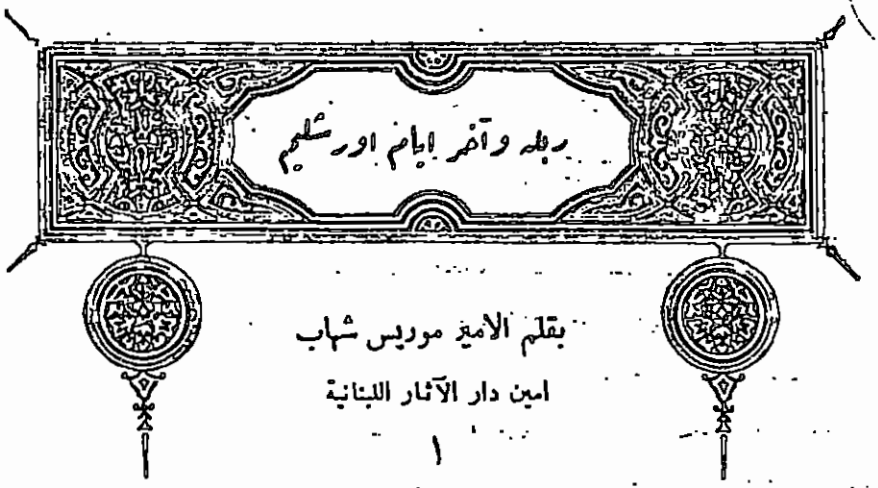

بقلم الأمير موريس شهاب
امين دار الآثار اللبنانية

١

لي ونشرت شيئاً على صفحات المشرق عن قادش ، ذلك الحصن المنيع ، الذي طالما وقف في وجه الجيوش المصرية من منتصف الالف الثاني حتى القرن الثالث عشر قبل المسيح . اما اليوم فسانتقل بالذكر الى بضعة كيلومترات جنوبي قادش ، حيث مثلت مدينة ربلة دوراً هاماً في أواسط الالف الاول قبل المسيح .

اقتراض دولة الاشوريين

بلغت مملكة الاشوريين في القرن السادس ذروة المجد ، اذ انتشرت سطوة ملوكهم على القسم الاكبر من الشرق الادنى . فامتدت اراضيهم من جبال ايران حتى شلالات النيل وشواطئ البحر الاسود . وقد دانت لهم الممالك ، ومشت في ركابهم ، واصبحت نينوى محجّ الشعوب يؤمونها تحت عبء الاحمال الثقيلة تتبعهم قوافل لا اول لها ولا آخر مثقلة بالهدايا النفيسة للملك اشور الاعظم . وكان هذا الملك يفتخر بانه دوّخ الارض وغيّر شكلها ، فنقل الكلدان الى السامرة ، واهل السامرة الى ضفاف الخابور والى بلاد الايرانيين ، واشبع القربان من لحوم الاعداء ، بعد ان سلخ جلودهم ونشرها على اسوار مدنهم . ولم يكن لملك أشور من لذة اعظم من تقطيع اعضاء الاسرى ، وهم احياء ، او من تحويل الساحات العمومية الى غابات بشرية غرست فيها الاجسام على الاوتاد .

وكان ملوك أشور في اواخر عهدهم بدأوا يتمدّنون شيئاً فشيئاً بعد احتكاكهم بمدنية الكلدان السامية . فأخذ احدهم ، اشور بانيبال ، يعزز الآداب والفنون ويخزن في قصره اللوحات التاريخية والدينية ، حتى حوت مكتبته انفس ما عرف في زمانه من العلوم ، وازدانت قصوره بادق ما وصل اليه الفن الاشوري من النقوش والرسوم . ولكن ابى القدر الا ان يحقق فيه المثل السائر : على الباغي تدور الدوائر . فاتاه الويل من حيث لا يدري ، وتدفقت على مملكته من الشمال قبائل السيثيين فاغرقتها في بحر زاخر من البرابرة انتشروا في جميع انحاء المملكة فضضعوا اركانها . وكادت نينوى تسقط بين ايديهم ، ويعملون بنفائسها السلب والنهب ، ولكنها لم تلك سوى عاصفة هبت على حين غرّة . ثم تفرّق شمل السيثيين في ارجاء تلك المملكة الواسعة ، بعد ان وصل قسم منهم الى حدود مصر

حسب الاشوريون انهم نجوا من ايدي القدر ، فعادوا الى بطشهم . ولكن تلك الغزوة افاقت الشعوب المغلوبة من سباتها ، وخطّت في اعينهم من قدر الغالب ، وقد اوشك ان يكون مغلوباً . وكان ملك اشور قد اقام نائباً عنه في بلاد الكلدان الملك نابوبولصر ، وارسله يوماً لمحاربة غزاة اتوا مملكة اشور من جنوبي بلاد الكلدان . وكأنّ نابوبولصر رأى انه قد حان له انتهاز الفرصة والحصول على الاستقلال التام في منطقته ، فاتفق مع الاعداء ، وارسل يستنجد بياكسار ملك الماديين ، وهم من شعوب البلاد الايرانية واعداء الاشوريين الالداء ، فانجده سياكسار ، وحدوده قريبة من عاصمة الاشوريين ، فهاجم نينوى وحاصرها . وما وصل الخبر الى فرعون مصر نكو الّا جنّد الجنود وهاجم البلاد السورية فلم يردعه رادع ، بل اتفق مع الفينيقيين فكانوا له عوناً متيناً على احتلال البلاد . ولم يقف بوجهه الا يوشيا ملك يهوذا ، لانه كان قد حلف يمين الوفاء لملك اشور .

يوشيا ملك يهوذا حليف الاشوريين

اما نكو فلم يعبأ بمقاومة الملك يوشيا بل تابع سيره زاحفاً ، وكتب اليه : « مالي ولك يا ملك يهوذا لست آتياً اليوم لاحاربك انت ، انما لاحارب بيتاً

انا على خلاف معه ، الله اسرني بالاسراع فلا تقف بوجه الاله الذي يرافقني لئلا تهلك. » (سفر الايام الثاني ٣٥ : ٢١)

ولكن أنّى ليوشيا ان يسمع خطاب الفرعون ، وهو يخشى بطش الاشوريين اكثر من وعيد مظلومهم بالامس . فحشد الجند وساقه من بلاد يهوذا الى بطاح مجدّو ، وهي قرب اللجون في مرج بني عامر . فالتقت جيوش يهوذا بالجيوش المصرية ، وحاولت عبثاً ايقافها عن زحفها الى الشمال . وقد اصيب يوشيا في خلال المعركة بسهم قاتل ، فارتدّ جنده القهقرى ، وتابع الفرعون طريقه غير ملتفت الى هذا العدوّ ، وقد سلخ عنه فرقاً مع قائد وجهها لاحتلال بلاد يهوذا . ولم يمض على معركة مجدّو الوقت اليسير حتى خضعت البلاد السورية من دانيا الى قاصيها لفرعون مصر وامتثلت لامره ، فحصّن القلاع الشمالية في جهة جرابلس - كركميش ، وعاد الى البقاع حيث اقام لنفسه معسكرًا في ربله . وما كاد الفرعون يحلّ في ربلة حتى امّت معسكره وفود سورية جمعاء من اراميين وفينيقيين وعرب . وودى الفرعون ان يهوذا ، بعد قتل مليكه ، اتخذ لنفسه ملكاً يوآحاز بن يوشيا ، وما ذلك الّا دليل على ان اهل البلاد لا يزالون قائمين على عدائه . فارسل حالًا الى اورشليم احد قواده ، فنزع الملك من يوآحاز واقام بدلًا عنه صنيعة له يوياكيم اخا يوآحاز ، وساق الملك الخليع الى مصر اسيرًا .

هذا ما جرى من الحوادث في سورية . واما في مملكة اشور فما زال سياكسار يشدّد الحصار على نينوى ويقطع عنها الزاد ، حتى يئس ملكها من الخلاص ، ورأى لعزة نفسه ان يستسلم لعدوّه فاضرم النار في قصره وهلك فيه مع بعض خواصه .

وقد استولى الماديون على نينوى سنة ٦٠٨ ، فاحرقوا معابدها وسلبوا كنوزها ودمّروا حصونها وذبحوا اهلها ، وتركوها قاعاً صفصفاً وقد ابادوها من حيّز الوجود . وبعد مرور قرنين من تسليمها ، مرّ بها جيش من الاروام ، ولم يخطر له ان نينوى مقرّ السيادة والبطش كانت على مقربة من معسكره .

وبعد زوال ملك الاشوريين اقتسم بلادهم سياكسار ونابوبولصر ، فحكم الماديون جهات اشور وقسماً من اسية الصغرى . وجُعلت بلاد الكلدان وسورية تحت سيطرة ملوك بابل . ولم يستقرّ الملك لنابوبولصر الا اوفد سريعاً الى البلاد

السورية ولده نبوكدرصر ليكف يد المصريين عنها لانهم في نظره عبيد لسلطنته كما كانوا عبيداً لسلطنة بعض ملوك اشور.

بنو يهوذا بين المصريين والكلدان

واما بنو يهوذا فانقسموا ، من الوجهة السياسية ، الى قسمين . كان القسم الاكبر منهم يميل الى محالفة المصريين ومعاضدتهم ، وقسم صغير يمثله ارميا النبي يتشبث بعدم معاندة الكلدان وبالخضوع لنبوكدرصر. واوشك ان يكون ارميا النبي وحيداً في رأيه ولم يمنعه ذلك عن التصلب به وانذار الملك والشعب بضرورة الطاعة لمشورته. واظهر ارميا في دفاعه عن رأيه ونبوّته شجاعة نادرة اذ ان اعداءه، وخاصة الكهنة منهم والمتنبين، ادّعوا انه يرمي الشقاق في الشعب ويدعي النبوة كذباً وبهتاناً ، واضطهدوه حتى انهم حاولوا قتله « وقبض عليه الكهنة والانبياء وكل الشعب وقالوا لتموتنّ موتاً » (ارميا ٢٦ : ٥). فاجابهم ارميا بصراحته المعتادة : « هاءنذا في ايديكم فاصنعوا بي كما يصلح ويحسن لديكم . لكن اعلموا يقيناً انكم ان قتلتموني تجعلون دماً زكياً عليكم وعلى هذه المدينة وعلى سكانها لان الربّ ارسلني حقاً اليكم (ارميا ٢٦ : ١٤—١٦) . ولم ينجُ ارميا من ايديهم الّا بعد ان توسّط العفو عنه رجال من شيوخ الارض ، وحماه أحيقام بن شافان.

وكان ارميا يلوم الشعب لتركه عبادة خالقه قائلاً : « على عدد مدنك كان عدد آلهتك يا يهوذا وعلى عدد شوارع اورشليم نصبتم مذابح للخزي مذابح لتقتروا للبعل » (ارميا ١١ : ١٣). ويقول ايضاً « هل يغيّر الكوشي جلده والنمر حينئذ تقدرون انتم ان تصنعوا الخير وانتم معتادون الشر » (ارميا ١٣ : ٢٣) .

ثم ينتقل ارميا من لوم الشعب الى الاسف على مصيره وانذاره بقرب القصاص الالهي فيقول : « من لرأسي مياه ولعيني ينبوع دموع فابكي نهاراً وليلاً على قتلى بنت شعبي » (ارميا ٩ : ١) او انه يقول باسم الاله « اجارحٌ ملوّن الريش ميراثي لديّ فالجوارح عليه من كل جهة هلمي تجمعي يا جميع وحوش الصحراء تعالي الى الأكل . رعاة كثيرون قد افسدوا كرمي وداسوا نصيبي

وجعلوا نصيبي الشهي قفرًا خربًا . جعلوه خرابًا خرابًا ينتحب اليّ . (ارميا ١٢ : ٩—١١) . وكان ارميا يعني بقوله الجوارح ووحوش الصحراء شعوب الكلدان والشعوب المجاورة ليهوذا ، وهي تتربص الفرص للانقضاض عليه ، ومنها امون وموآب وادوم . ولم يكتف ارميا بالتلميح الى الاعداء ، بل انه كان يشير اليهم بصراحة فيقول للشعب : هاءنذا اجلب عليكم امة من بعيد يا آل اسرائيل . . . امة قوية ، امة قديمة . . . جعبتها كقبر مفتوح . كلهم جبابرة . . . يأكلون كرمك وتينك ويدمرون بالسيف مدنك الحصينة (ارميا ٥ : ١٥—١٧) « هوذا صوت سمعة قد وفد واضطراب عظيم من ارض الشمال ليجعل مدن يهوذا دمارًا مأوى لبنات آوى (ارميا ١٠ : ٢٢) « قد اشرف من الشمال شرّ وحطم عظيم . هاءنذا ادمر الجميلة المترفة بنت صهيون » (ارميا ٦ : ١—٢) « ساجعل يهوذا كافة في يد ملك بابل فيجليهم بابل ويقتلهم بالسيف . واجعل كل ثروة هذه المدينة وكل تعبها وكل نفائسها وكل كنوز ملوك يهوذا في ايدي اعدائها فيتهبونها ويأخذونها ويذهبون بها الى بابل » (ارميا ٢٠ : ٤—٥) .

انتصار نبوكدرصر على المصريين قرب كركيش

وطالما ناشد ارميا بني وطنه ليردعهم عن تعليق الآمال على المصريين ، فكان يصف جيش المصريين الزاحف فيقول عنه « من هذا الذي يطفي كالنيل وتلتطم امواجه كالانهار . مصر كالنيل تطغى وكالانهار تلتطم امواجها وتقول اطغى واغشى الارض وادمر المدينة والساكنين فيها . » (ارميا ٤٦ : ٧—٨)

ولكنه لا يرفع شأن هذا الجيش الا ليظهر لاهل يهوذا ان المصريين مع كل ما عندهم من السطوة والمقدرة لن يتمكنوا من التغلب على نبوكدرصر . فكيف بهم وهم شعب صغير لا قوة له امام جبروت الكلدان . وكان يصف لشعبه انكسار المصريين وخذلهم قرب كركيش فيقول عنهم « هيئوا المجن والمجنب وازحفوا للقتال . شدوا على الخيل واركبوا ايها الفرسان وانتصبوا بخوذكم . اصقلوا الرماح والبسوا الدروع . ما بالي رأيتهم قد فشلوا ونكصوا الى الوراء . قد كسر جبابرتهم وانهزموا انهزاماً ولم يلتفتوا . . . الخفيف لا يهرب والجبار لا يفلت . في الشمال بجانب نهر الفرات عثروا وسقطوا » (ارميا ٤٦ : ٣—٧) . (للبحث صلة)

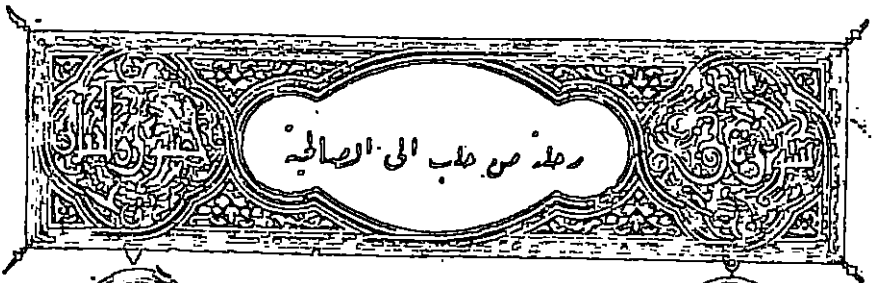

بقلم الاب توتل اليسوعي

في ربيع سنة ١٩٣٠ ، قطعنا مفاوز البلاد ومسافاتها ، بين حلب والصالحية على الفرات ، وساعدتنا الظروف على حطّ الرحال ، تارة عند اهل الحيضر ، في دير حافر ودير الزور والميادين والصالحية ، وطوراً عند اهل الوبر ، في بيوت الشعر وعند كبان الرمال الموارية انقاض المدن القديمة . وتصرفنا الى بعض الاهلين واستخبرناهم الاخبار ، وانكشفت لنا مناظر تلك البقاع المجهولة فاوقفتنا على اطلالها وانجادها وحزونها . ومن رمال البادية عدنا الى بيروت ، فالمكتبة الشرقية ، حيث المؤلفات العديدة ، على بلاد حلب والزور والجزيرة والفرات ، من حديث وقديم وعربي وافرنجي . وهي كالكنز الدفين والمعدن الثمين ، فاقبلنا على استخراج دررها واستنباط موادّها واعتمدنا عليها في الكلام

وان الموضوع لشهيّ ، في هذه الايام ، وأنظار الناس محوّلة الى بلاد الفرات : في الاشهر الماضية تمّت بناية جسره الكبير في دير الزور ، وفي الآونة الاخيرة اشرأبت الاعناق الى الجزيرة ولا تزال مشرئبة اليها حتى الآن ، مستقبلة الرياح الحاملة بخار النفط والبترول . فمن اين يأتي ؟ وعن اي طريق ؟ والى اي مصب ؟

على ممرّ الانابيب ، سوف يمتدّ خطنا الحديدي ، الواصل بين البحر المتوسط والفرات الاوسط . وهناك مجاهل من تلال حوت آثار مدن داثرة ، وطوايا تاريخ عريق في القدم ، تختلف عليها البعثات فتجري فيها الحفريات وتستكشف غوامضها وتستقرئها اخبار السلف ، فتهتدي بها متبعةً على مجاري الفرات

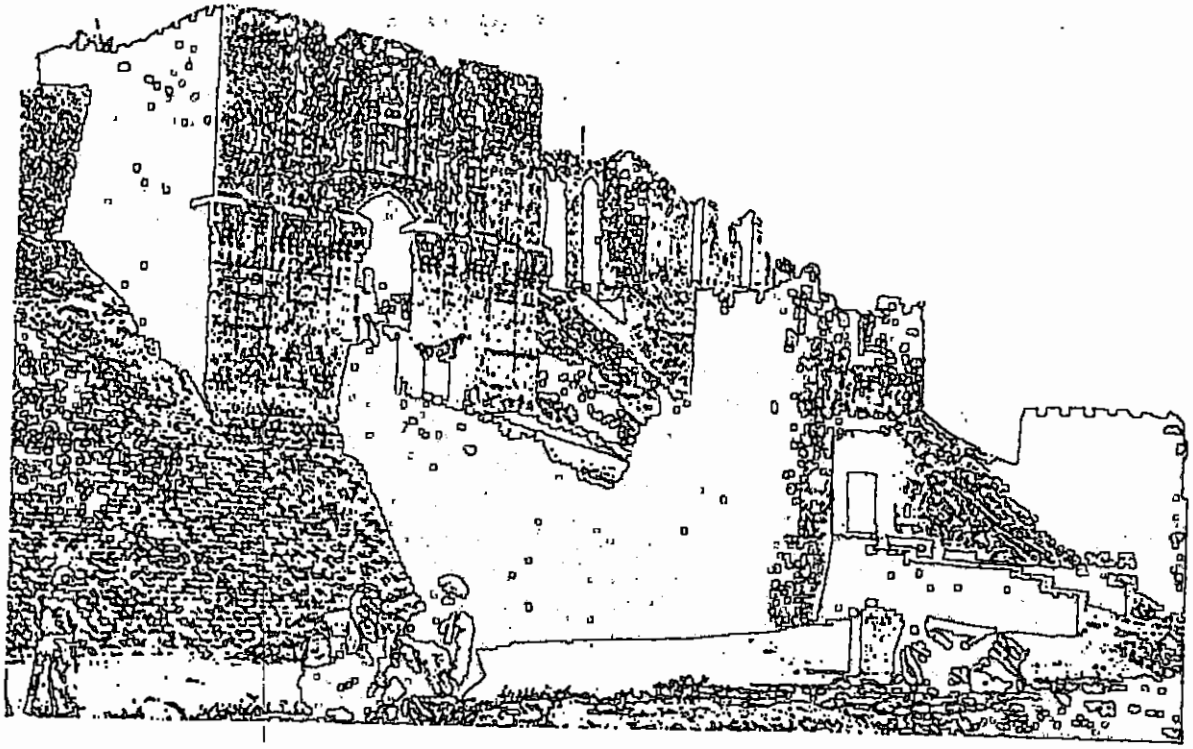

قلعة حلب

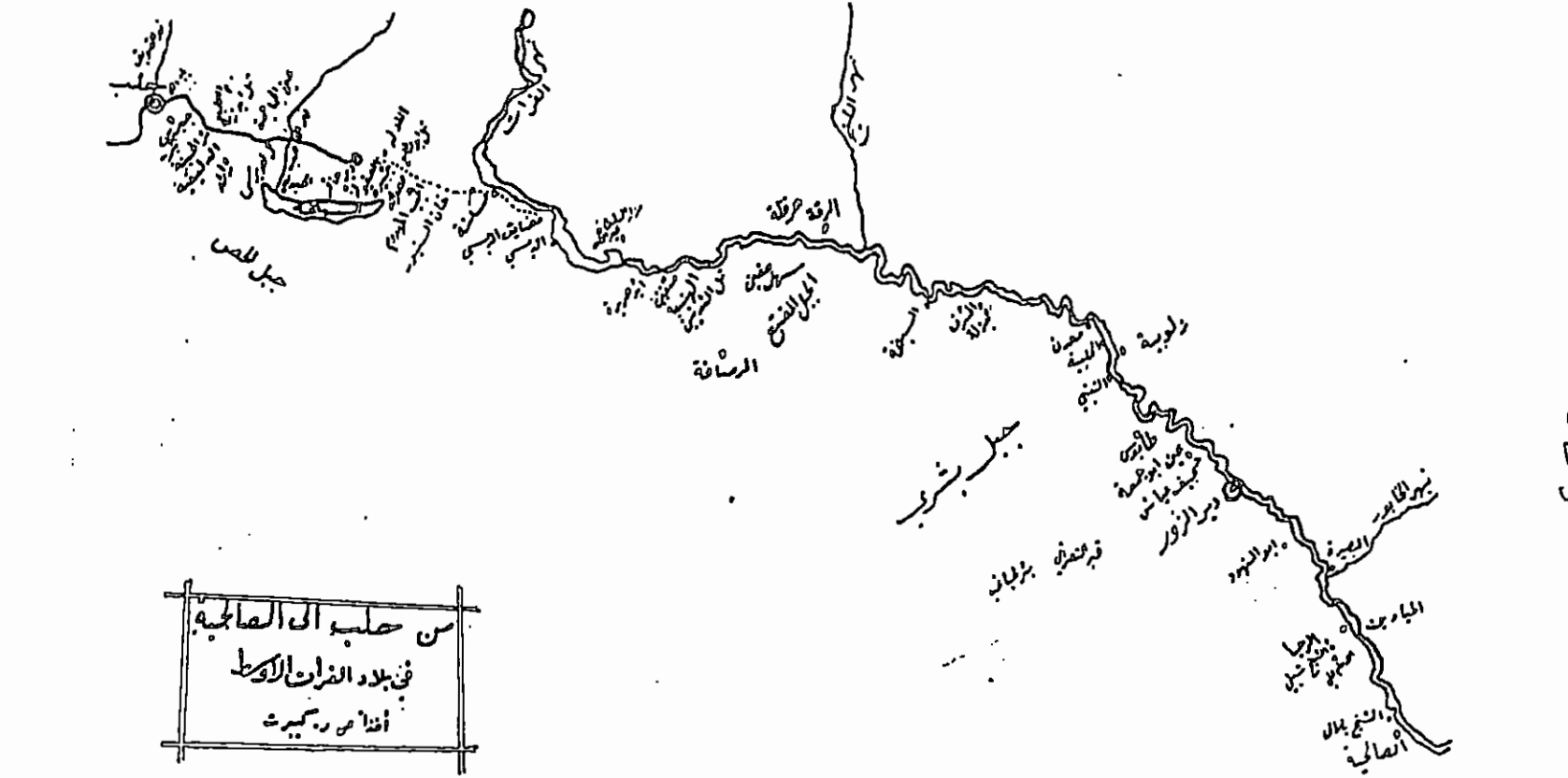

خارطة رحلة من حلب الى الصالحية

كسينوفون في رحلاته ، والاسكندر في فتوحاته ، وآثار المستعمرات الرومانية ، والوقائع العربية بين الانجاد والبطون والقلاع والحصون .

فلا اقل من ان نلتفت الى النتائج التي بلغ اليها الرواد والمنقبون ، فنشارك اهل العلم بافراحهم ومظانهم فيما يكتشفون ، ونهتم بباديات بلادنا ، ليس فقط كالتجار ولكن كالعقلاء المشغوفين بالمعقولات ، فندرس معانيها ، وننظر اليها نظرة الابناء الحرصاء على ارث الجدود وآثارهم .

هذا والبحث في احوال تلك البلاد يمهد السبيل لوضع الكتب الجغرافية المدرسية ، والناشئة لا تزال بمسيس الحاجة اليها ؛ وقد يأتي الكثيرين من القراء ، بفوائد يجهلونها ، وهم في الغالب يعرفون عن بلاد مصر واوربة واميركة اكثر مما يعرفون عن بلاد سورية الشمالية وما بين النهرين . وان ما نود الكلام عليه لبرنامج واسع النطاق . ولا بدّ ان نكتفي منه ، اليوم ، بوصف رحلتنا على جناح السرعة ، والله الولي بالحلّ والترحال .

« على باب الله »

« باب الله » موضع في ظواهر حلب ، كان محطة المسافرين الاولى عند خروجهم من الشهباء نحو الشرق . وسار عندهم المثل « ذهب على باب الله » ، اي سافر في طلب الرزق . ومن تلك الناحية ، تمتدّ الطريق الى الفرات ودير الزور وبغداد .

وكانوا من اقل من عشر السنوات ، لا يقدمون على الرحيل منها الا بالعدد والعديد ، فتسير القافلات ، في المواسم المعهودة ، مزوّدة بجميع ما يحتاج اليه المرء لقطع البيداء وردّ هجمات اللصوص . وكان المسافرون يخرجون قبل الفجر من « الخان » ، فتستيقظ احياء البلدة لمرور الخيل والجمال ، ولخلخلة الجلاجل في الازقة . فيهرع الاولاد ويشرفون من نوافذ البيوت على موكب الراحلين . اما اليوم ، فرحيل ، ولكن لا خلخال ولا جلجال ؛ انما هو بوق السيارة يبوّق فيفاجئ الجمّال والبغّال في الاسواق ويستفزّ الكسالى النائمين .

وكنا ستةً في سيارة فورد : اربعة انفار مسافرون ، والسائق ، والجندي الافرنسي

المعهود اليه بمرافقة البريد ؛ ومعنا ايضاً ، عدا امتعتنا ، اكياس مجيديات صدرها بعض التجار لكساد سوقها في حلب ، وهي لا تزال رائجة في البادية ، والعرب لا يقبلون الا المعدن الرنان نقوداً . اما زادنا فليس باكثر مما يتزوّد به راكب القطار الحديدي لسفرة نهاره .

خرجنا من حلب ، والقلعة على يميننا : لو اتيح لنا ، آنذاك ، ارتقاء تلها المهيب ، والصعود على مأذنتها ، لتمتعنا نظرنا بما يتمتع به نظر البحّار اذا تسلق ذروة الصاري واستكشف الافق ، ضارباً بمرامي النظر ، معدل المساحات في وجهه . امامنا سهل واسع الارجاء ، قاتم الالوان ، في خلاله بساتين الزيتون والفستق ، ومن ورائه تربة حمراء ، اسبلت عليها الحقول المزروعة حلةً خضراء ، ومن بعدها بقاع جرداء تلألأت على جانبها القبلي سبخات الجبول ومالحها البيضاء المنعكسة عليها اشعة شمس الصباح . وابعد من ذلك ، نحو الشرق بشمال ، وادي الفرات الساقي اعالي الجزيرة ، المتقارب الى سورية الشمالية تقارب الرفيق ، كأنه يحدثها بآمال زيارته اراضيها ، واحيائه يورها . وهيئة ذلك السهل اشبه بالبحر الهادئ المتموج بموجات بعيدات المدى ، تشقه الطريق السلطانية ، بين صعود وهبوط الى ما وراء دير حافر

الى دير حافر

توجهنا نحو الشرق ، وقطعنا البساتين والكروم ، وحقولاً مزروعة ولكنها جدباء ، عطشى ، لان المطر الذي سيسقط في نيسان لم يكن بعد قد انعشها . هوذا ، في جوارنا ، آثار نيرب القديمة ، ثم جبرين . فتلظى مرجل السيارة وزمجر ، ونحن نرتقي من علوّ ٣٩٨ متراً الى ٤٧١ متراً فوق سطح البحر . واشار ميزان السرعة الينا بعدد الكيلومترات فاذا هي ستون ثم سبعون بالساعة . ويمكننا ان نواصل السفر بسير اسرع ، لولا وجود العمال المشتغلين في تعبيد الطريق ، واتقاؤنا وقوع المكروه . قطعنا محلة بئر الحسينية والدليقية وابوزنة ، وسرنا ، وعلى يسارنا تل الطيارة ، وام العمل ، وعلى يسارنا انقاض السفيرة ، وضيعة تريكية ، وراشد ومن ثم منخفض من الارض ، ومستنقع تنساب فيه ،

بين الحصى ، مياه عين الجماجمة ثم نهر الذهب . هذه البقاع كانت خصبة ، عامرة ، آهلة ، في الزمان القديم ، لان طبقاتها تحت الارض تحوي من المياه ما يكفي مؤونة ريّ الارياف الواسعة . اما اليوم ، فقد غار ماؤها ، وسكتت طيورها ، وسكنت الحركة في حقولها . هناك مسافات خفق عليها لواء الوحشة فلا يقطنها انسي ولا جني ولا يُرى فيها الا بعض الجمالين يسوقون جمالهم ويأتون باللبن والحليب والبيض فيبيعونها في حلب . اليك فرقة من مشاة العسكر السنغالي مع عدتها الحربية للمناورات العسكرية هذا خان القويرس ، وتل الحميمة[1] . واليك دير حافر . وهي محطة البريد الاولى بعد حلب . سلم المأمور كيس المكاتيب . ونظر السائق الى السيارة فاذ باحد دواليبها مفزور ، فهب لتصليحه . وما اكثر ما سوف يعود الى تصليحه طيلة الطريق ، لان علة الفزر هي مسمار انغرس في لحم المطّاط وظل على مدى ساعات يشكّ مصران الهواء ويعذبنا ، الى ان كشفنا عليه وقلعناه بعد تأخيرنا ساعات على الطريق . لكني لم آسف على الاربع الساعة الطوال التي كنا نقضيها في البادية ريثما يتم تصليح الدولاب كلما انفزر ، لانها كانت فرصة سانحة لتمتيع النظر بمشاهد الصحارى ، والتحدث تارة الى رعيان الغنم ، وطوراً الى العرب سكان بيوت الشعر .

وها اني نزلت اطوف قرية دير حافر . فيها سوق وجامع ومدرسة ومقبرة ، وبيوتها مبنية بالطين واللبن ، وماؤها غزير في ابيرة عمقها متراوح بين الاربعة والخمسة امتار . سكانها مسلمون الا رجل واحد ارمني يتعاطى فيها الحدادة والخبازة وله حانوت فيه شتى البضائع . ورأيت ولداً حاملاً كتابه في خرجه الصغير ، فسألته :

— الى اين يا ولد ؟

— الى البيت .

— والمدرسة ؟

---

١) راجع خارطة هرتزفلد في الكتاب : الرحلات الاثرية لزافيه ساره وهرتزفلد *Archäologische Reise im euphrat und Tigris Gebiet von* F. Sarre *und* E. Herzfeld, *Berlin, 1911.*

— انتهت ، اتينا الشيخ فصرفنا لعدم حضور عدد التلامذة الكافي.

فسألته الذهاب وايله الى استاذه. فمضينا ولحق بنا غيره من الاولاد ، وسرنا في طرقات الضيعة ، ضيقة ، ملتوية. وكنا نكشف على داخل البيوت وهي في الغالب متلاصقة الجدران ، ملتحمة الحدود ، غرفها للبشر ، وعرصتها للبهائم من بقر وجمال وغنم ودجاج. دخلت المدرسة ، فاذا الشيخ « المغربي » جالس على انفراد في الصدر ، وتلميذان قاعدان بالقرب من الباب ، يكتبان ، بينما سائر الاولاد سراحى مراحى على الطرق . نهض الشيخ مرحباً . فسألته :

— اين التلامذة ؟

— في المنتزه.

— لا بد انهم مجتهدون ناجحون ؟

— بلى . وها ان اثنين منهم على وشك ختم الكتاب .

وانقضى اسبوعان ، ومررنا بدير حافر إياباً . فاستوقفني احد الاحداث وقال :

— اليوم حفلة الختام في القرية ، تفضل وانظر.

فمشينا ، فاذا باهل الضيعة قد التأموا في فناء دار كبيرة ، والرقص والدبك قائم على قدم وساق ، بين الرجال والشبان ، والنساء اجمعهن سافرات يلتهين بالحديث ، واصابعهن تغزل الصوف ، والشيخ ، معلم مدرسة القرية ، يفاخر بتلميذيه خاتمي الكتاب.

وكان في ساحة القرية رجل من اعيانها فحدثني عن ماضي المدرسة وقال : كان لنا استاذ راقٍ ، فلم يتفق والاهالي فهجرنا ومضى . ويا ليت من يسعى لنا بانشاء مدرسة تعلم مع القراءة والكتابة ، الحساب واصول اللغة الافرنسية.

على طريق « الترول »

تركنا الجادة وتوغلنا في صحراء لا طريق فيها ، سوى آثار دواليب السيارات والمركبات ، المرسومة على الرمل بخطوط متشابكة . وربما تشعبت تارة الى اليسار وطوراً الى اليمين والتبس امرها ، فعينت السلطة باقامة كثبان من الرمل

زهاء كل مئة متر ، هداية للسوّاق . ان مسالك الشول منها للشتاء ومنها للصيف . فطريق الصيف تجانب الفرات وتختصر المسافات ، وطريق الشتاء تتجنب المهابط والوديان وترقى التلال توقياً من الوحل . سرنا على تلك الرمال بسرعة معتدلة خشية ان تتهوّر في هاوية او نعثر بمرتفع ليس بالحسبان . لقد اتخذت ادارة النافعة السورية تسعى بمدّ الجسور على الغدران التي تجفّ في الصيف وتتحول في الشتاء الى سيول عرمة ، ومهدت السبيل للسياحة بوضع انصاب حجرية نقشت عليها اسماء الامكنة المتصلة بالطرق ، وصارت توصف الطريق كلها شيئاً فشيئاً ، آخذةً بالاقسام القريبة من محطات المسافرين ، والعمل متواصل في تكملة تلك الشعب حتى تتم الطريق بين حلب والجزيرة .

ان من الصحراء مسافات شاسعة لا تعرف اسماء مواقعها المهمة الا بسؤال الربان عنها ، او بالاحرى بمطالعة ما كتبه عليها الرواد . اليك محلة العقولة ، واللالة ، ومعداته ، والجبيرة ، وتل ابو مطلع ، والجب المهدوم ، وخان السنيور . ومن ثم تنحدر الطريق من علو ٣٦٠ متراً الى ٣٠٨ ، حتى تبلغ مسكنة في علو ٢٣٢ . وقفنا . سلم موظف البريد المكاتيب . ولم تدخل الخان ، بل هناك حوانيت بنيت على طراز المدن في واجهة الطريق ، وفيها الحاجيات من اكل وشرب ووقود . من محطة المسكنة تتشعب الطريق جنوباً وتوصل الى اسكي مسكنه ، ذات المأذنة العالية على الجبل . اما نحن فواصلنا السير نحو الغرب ، وما عتمنا ان دخلنا مضايق الدبس الملتوية كالافعى على جانب الفرات . وزمّر السائق خشية ان يفاجئ في كوع الطريق سيارة او قافلة . الارض والاكام حولنا بيضاء كلسية ، تنعكس عليها اشعة الشمس فتؤذي العيون ، وتمرّ عليها السيارة فتثير الغبار غيوماً . الفرات قريب ، وهو خفيّ عن العيون . حطت بنا السيارة على باب خان ابي هريرة . فشربنا ماء الفرات وواصلنا السير ، وعلى يسارنا مزار وهو قبة مبنية على جبل . وعند منحدر الجبل تتفرع الطريق فرعين ، احدهما يؤدي الى الرصافة جنوباً ، والآخر يلازم مجاري الفرات بعيداً عنها في اعالي الانجاد . في هذه الانحاء تمتد خارطة هرتفلد محلة الهنيدية ، وتل الثديين ، والمنيطر وهو في مستوى ١٦٧ متراً فوق سطح البحر . وهناك على مجرى الفرات ،

موقع خان الحلم ترده السيارات في الصيف وتتنحى عنه جنوباً في الشتاء ، في مرتفعات الجبل المضبع .

هذه قلعة سورية[1] ، وتلك محلة ابو قبي ، ومنها المشرف على الفرات وعلى البساتين الممتدة على جانبيه ، وهناك يتفرع النهر فروعاً وتسمى الاراضي زوراً . وعلى بعد من شاطئ الفرات الشمالي انقاض هرقة . ومنها الى الرقة مسافة قصيرة .

الرقة واقعة قريباً من الفرات ، في منتصف المسافة الممتدة بين هرقلة وبين نهر البليخ ، ساعد الفرات الايسر . من لنا بطائر يحملنا في جوّ تلك الانقاض ، ويحلق بنا عليها فنمتع النظر بآثارها . ولكن لا بد من الرحيل والاسراع لان رطوبة الاصيل انتشرت في الصحراء . سلمنا نفرين من فرسان الجندرمة بريد الرقة ، وواصلنا السير في الشول . والمخيلة تحدثنا بايام الروم وعساكرهم وهارون الرشيد وعزّه ، اذ كان عمال البريد يمخرون البلاد حاملين اخبار الاقاليم واوامر الخليفة الى عماله .

تركنا اراضي الرقة وخضنا سهول صفين الشهيرة بالمعركة التاريخية التي اشتعلت نيرانها بين معاوية والي سورية وعلي بن ابي طالب في السنة ٦٥٧ م . وانفزر مطاط الدولاب مرةً اخرى وعطشنا ، فتحول بنا السائق الى بيوت الشعر المضروبة هناك وهي لعرب الخيس . فاضافونا وأقرونا الزبدة والشنانة .

سألتهم : هل لاولادكم معلم ؟

قالوا : كانت الحكومة قد عينت لنا معلماً ، فاقام بيننا مدةً ثم مضى .

لقد مالت الشمس على المغيب . حيّ يا سائق ! وطارت السيارة بسرعة وفطنة . ومررنا بالقرب من نصب شادته الحكومة هداية للسافرين ، وعليه كتابة ، وتحتها صورة سهم موجه الى الشمال . فقرأنا هذه الكلمات : طريق الصحراء . وقرأها السائق بصوت سمعناه ، فكان كصوت الطفل اذا نادى امه وقد اشعر بقرب وقوع الخطر . الصحراء ! ارض التيه والعطش ، مسرح

---

١) راجع خارطة هرتزفلد .

الوحوش الضواري ، ومهبط الظلام واللصوص. حيّ يا سائق ! واخذت السيارة تنحدر من اعالي الآكام على طريق مكوّعة كانها في جبل لبنان ، وما هي دقائق الا ونحن في محطة السبخة وهي كثيرة الوحل في الشتاء. وقد اخذت الحكومة تعتني بعد طريق على اقبية ، تخترقها الاقنية وتصرف المياه عند سقوط المطر. بالقرب من السبخة محلة فيها نبع تدعى النخيلة .

استقينا وواصلنا السير . هناك يفيض الفرات ويروي واحات ، منها الزور الجبلي وزور شمر . ثم جزنا محلة العجيرة ، وقطعنا جزلة وبئرها ، والخميسية ومنها طريق الى مفاضة الفرات ، وناحية معدن ، ودرب الواوي ، والكسوبي ، قريباً من الخابومة ، حيث المياه تجتمع في مجرى واحد ، متوجهةً الى الغرب ، ملتوية بين الحلبية والزلوبية وبين محلة الشيخ شبلي ، وتارة تنقسم عن حويقة ، وطوراً تجتمع قريباً من قرية التبني . هناك تنحدر الطريق الى مستوى ٩٥ متراً فوق سطح البحر ، ثم ترتفع مرتقية التلال المتاخمة انجاد جبل بشري . في ذلك الموضع يتحوّل مجرى الفرات من مهده القديم الى الشمال ، فيترك من بعده تربةً تتقشر قشوراً عند جفافها تحت اشعة الشمس الحارة . اليك نبع ماء واشجار وهذا الموضع يسمى مريم . ومن ثم محلة طابوس ، وعين ابي جمعة في علو ٦٠ متراً ، ومن بعد مرتفعات فيها موضع يسمى حجيف ماء عياش . واخيراً قطعنا جسراً وما هي عشر دقائق الا دخلنا دير الزور .

من دير الزور الى الصالحية

قصدنا الى الصالحية بمية السيد المطران خودباش ، والاباء الافاضل الياس سالم ، خوري السريان الكاثوليك ، ويوسف جنانجي خوري الارمن الكاثوليك ، وجوستينيان الكبوشي ، والسيد ابراهيم جنانجي شقيق الخوري يوسف. سلكت بنا السيارة طريق بغداد ، فاجتازت جنوبي المدينة ومرّت بدار المكس. فقاطعنا احد رجالها سائلاً : الى اين ؟ فاجابه السيد ابراهيم « كزدره » ، ومعناها عندهم دورة او تنزهة . صعدت الشمس الافق فلذعتنا باشعة كانت حرارتها تتنابنا مع برودة الصباح فتنمش البدن . لا فرق بين ما نراه في الصحراء اليوم

حيث كنا رأيناه بالامس ، الا اننا في سهل واسع ممتد على جانب الفرات ، يتاجز عرضه الاثني عشر كيلومترًا بين شاطيء النهر والجبل . لما طغى الفرات وطاف طوفانه سنة ١٩٢٩ غمر هذه الاراضي ورواها . فزُرع بعضها قدرةً وما زالت اعشابها الى يومنا مرعى للمواشي . وفي سابق الزمان كان الفرات يسقي اسفل الجبل ثم « ازور » وغير مجراه ، وترك بينه وبين الجبل السهل المذكور . سفوح الصخور تلمع في الشمس عن بعد كانها قطع الكافور وشقاقها تحوي اعشاش الطيور . سرنا ثلاث ساعات في السيارة ، فبلغنا انقاض البصيرة القديمة ، وحططنا في الميادين بين ارياف آهلة مزروعة وموقعها عند التقاء الخابور بالفرات .

في الميادين اقام الدنادشة بعد جلائهم عن بلاد بعلبك . بلغهم خبر قدومنا فوفدوا الينا مسلّمين مستقصين انباء بيروت ومن فيها من باقي آلهم ، وقد تعرفنا اليهم ابان زيارتنا سجن الرمل .

على بعد ساعة من الميادين قلعة الرحبا ، فزرناها ، وزرنا في جوارها « مقام علي » ، واشرفنا على محلات عين علي ومزار الشيخ ابن مالك والشيخ سراج الدين والشيخ شبلي .

وضاق بنا السهل بين الفرات والجبل ، جنوبي الميادين ، فتوقلنا الهضاب وحولنا السير نحو الصالحية الى الشرق ، فوصلناها ساعة قبل الظهر . فاستقبلنا السيد نوري الافرنسي ، احد رجال البعثة الواقفين على اعمال الحفريات ، وجال وايانا في آثار المدينة القديمة « دوره اوروبس » . وهذه هي ابعد محطة بلغت اليها رحلتنا على شاطيء الفرات .

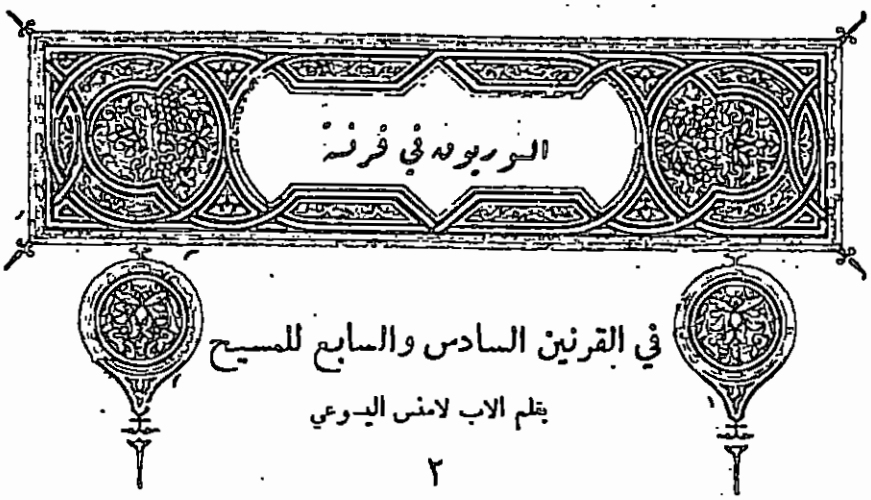

في القرنين السادس والسابع للمسيح

بقلم الاب لامنس اليسوعي

٢

من واجبات حسن الادارة والسياسة في الدولة مساعدة تجارتها في الخارج ، والعمل على اقرار الثقة في اعتماداتها الوطنية . ولم يعدم السوريون هذه المساعدة في احتلالهم السوق الميروفنجية . فانه ، مهما انتقدنا على الامبراطورية البيزنطية كثرة ضرائبها وشدّة جباتها ، فلا يسعنا الا الاقرار بالحماية التي كانت تشمل بها رعاياها في الخارج . اذ كانت تعتبر التجّار منهم كالمدافعين عن الفكرة الامبراطورية وناشري النفوذ البيزنطي . ثم ان المشاكل النقدية وتقلبات العملة لم تكن ، في ذاك العصر ، اقل تأثيراً حيوياً منها في عصرنا . وقد كان لبيزنطية ، في هذه النقطة ايضاً ، مركز سام متميز عن مركز سائر الشعوب بفضل ما كانت تبديه دائرة المالية فيها من الدقة وحسن الادارة . وانه لمظهر عجيب في التاريخ العالمي ان تكون تلك الامبراطورية لم تتأخر مرة واحدة مدة ثمانية قرون عن دفع ما عليها . واذا كانت الثقة باعتماداتها عظيمة في الخارج ، وكانت عملتها جارية في كل مكان . وفي جميع المعاهدات والاتفاقات المعقودة بينها وبين غيرها من الدول ، كانت سياستها الامبراطورية تحتفظ باحتكار سكّ العملة الذهبية احتفاظها بحق قيصري . حتى ان دولة الساسانيين ذاتها ، عدوّتها التاريخية ، كانت تقرّ بهذا الحقّ وتخضع لهذا الشرط . فكان ذاك الانتصار المالي يعزّي قياصر القسطنطينية عن انكساراتهم الحربية ، فيفتخرون بانهم لا يزالون السائدين على العالم .

وكم كانت مفضلةً هذه السياسة الثابتة المستديمة على التجّار السوريين ،

وسط الاضطراب المالي العامّ الذي ولي الاكتساحات البربرية . فان الصيارفة والتجار السوريين كانوا الحاصلين وحدهم على الصلة الجارية في العالم كله . فكانت الثقة كلها فيهم والحركة الصيرفية متجهة الى مؤسساتهم . وهل كان بامكانهم الا يستفيدوا من ذلك . على ان الغالّين كانوا ينظرون الى تلك الحالة من جهة معاكسة ، فيتذمّرون منها ويحتجون على المضاربات والتلاعبات المالية التي يقوم بها السوريون . ونحن نقول القول نفسه اليوم عن الاميركيين والهولنديين والانكليز الذين يهزأون باحتجاجاتنا ، وينسبوننا بدورهم الى روح التسلّط وحب السيادة على الكون . وان المؤرخ يخطأ خطأً فظيعاً اذا بنى احكامه على شهادة فريق واحد . وبايّ حقّ يمكنه ان يفرض التجرّد الانجيلي في قوم هجروا اهلهم وبلادهم في سبيل الربح والثروة ؟

واني ارى احد كهنة مرسيلية في القرن الخامس ، المدعوّ سلفيانوس ، يقع عن غير قصد في هذا الخطأ المشار اليه . فيسمعنا لا صوت الاخلاقي المسيحي فحسب ، بل احتجاج الوطني الغالي ايضاً . وان هذه الصفة المزدوجة كانت ابعد من ان تحمله على الرفق والعطف . فهو ينقضّ ، في احد احتجاجاته الشديدة اللهجة ، على مساوئ الاخلاق وارباب المفاسد ، فينحي باللائمة على الغاليين والفرنج ، ويصل الى السوريين « الذين احتلّوا بجمهورهم جميع المدن »

« *Syrorum turbas qui majorem ferme civitatum universarum partem occupaverunt.* »

وذلك دون ان يميز او ان يجتهد في التمييز بين السوريين وسائر الشرقيين . ومن الصعب الاعتقاد بان السوريين وحدهم كانوا يحتلّون مدن غالية . ولكن مهما يكن من أمر فان سلفيانوس يتّهمهم جميعاً بانهم لا يفتكرون الا بالدسّ والكذب والخداع ؛ وانه ليس من اعمالهم ومآتيهم ما يمكن نسبته الى التجرّد والاخلاص ؛ « وانهم يعتبرون كلاماً ضائعاً كل ما لا يفيد مصالحهم . »[1]

si non perire admodum verba autumant quæ nihil loquentibus prosunt. »

وهو ينسب الفرنج ايضاً الى الخيانة والمكر والحنث ؛ وكل القطمة على هذه

(١) مجموعة الآباء اللاتين ، لبن ، المجلد ٥٣ ، العمود ٨٧

الوثيرة من الاحكام القاسية التي تظهر ان الاخلاقي المرسيلي لم يكن ليتحفظ في اطلاق كلماته . ومما لا شكّ فيه ان سلفيانوس عاشر بعض السوريين فابغضهم جميعاً . ولكن ما يهمّنا خاصة هو شهادته عن اهمية الجوالي السورية اذ ذاك ، وانتشارها في انحاء غالية . ومن المرجّح انه كان في مرسيلية ، وهي ميناء الشرق ، جالية مهمة . وفيها قد يكون سلفيانوس عرف السوريين . ولو ترك هؤلاء مذكراتهم لعرفنا كيف كان اصحاب المكوس وارباب الجمارك المرسيلية يعاملون مهاجري الشرقيين . ونحن نعرف مهاجرًا فقد قسماً كبيرًا من بضاعته ، وكان وسقاً من الزيت ؛ ونعرف انه شكا من تلك الظلامة وطلب تحصيل حقه ؛ ولكننا لا نعرف هل نال ما طلبه .

التأم في زيونة ، في اواخر القرن السادس ، مجمع نرى في خلاصة اعماله ذكرًا لليونان والسوريين بين الشعوب القاطنة الجهة الزيونية من بلاد غالية . وان هذا الذكر يفيدنا ما تحققناه سابقاً من وجود جوالي السوريين وتنظيمها كشعب او جماعة مقرّرة . ويفيدنا ايضاً اهمية هذه الجوالي من حيث عددها ونفوذ ابنائها . والا لما فهمنا اهتمام المجمع الزيوني ، وهو يسنّ الشرائع لجميع المؤمنين ، بان يسيهم خاصة الى جنب « القوط والرومان » ، اهمّ العناصر التي كانت تؤلف جمهور السكّان في غالية الجنوبية . ونرى ايضاً بارتياح ان المجمع ميّز بين اليونان والسوريين ، فنأسف ألّا يكون كتّاب القالبين لجأوا دائماً الى هذه الطريقة في التمييز . وهم لو فعلوا لتجنّبوا كثيرًا من التشويش والابهام ، ولأمكننا من ان نعطي ما لقيصر لقيصر ، وما للسوريين للسوريين بكل عدالة وانصاف .

كان يجري في تلك الجوالي السورية حوادث غريبة منها ما يقرب من نوع الروايات يختلط فيها الهزل بالجدّ ، ولا يكون افضل دور فيها من نصيب الوطنيين القالبين . من ذلك ما جرى للسوري أوفرون الذي كان مقيماً في بوردو في منتصف القرن السادس ، قبيل عقد المجمع الزيوني . ووجوده هناك يدلّ على ان للسوريين موهبة خاصة في فهم الجغرافية التجارية ، واكتشاف مراكز الاعمال الرابحة ؛ فانهم بعد ان نزلوا مرسيلية ، وانتشروا في وادي

الرّون ، وصلوا الى مينـاء بوردو ومنها الى وادي الغارون . كان اوفرون المـذكور قد حصل ثروة طـائلة ؛ فاراد اسقف بوردو ان يدخله في رجال اكليروسه . ولم يكن للسوري ادنى استعداد يدفعه لقبول الدرجات الكهنوتية ، ولا يشعر باقل ميل الى الحياة الاكليريكية . على ان هذا لم يمنع الاسقف من الزعم انه اعرف من الرجل بدعوته الدينية ، وغايته ، في كل ذلك ، ان يصل الى ثروته الطائلة ، كما يقول غريغوار التوري (*inbiens facultatem ejus*) . فنجح بان قصّ شعر اوفرون كي يمدّه لقبول الدرجات . فما كان من هذا الا ان هرب من المدينة مدة ، ولم يرجع اليها حتى عاد شعره فنبت وطال .

على ان مصيبته لم تقف عند هذا الحدّ . كان عنده ذخيرة من بقايا القديس سرجيوس . وهو قديس مشهور في سورية يضـارع القديس جرجس في سعة الذكر . يشهد بذلك انتشار اسم سركيس ، وهو تصحيف سرجيوس ؛ وان بني تغلب كانوا يتقدّمون للحرب ، واما مهم لواء القـديس ؛ وأنه بنيت على اسمه مدينة سرجيوپوليس التي حفظت آثاره ، وهي المدينة التي كان يدعوهـا العرب الرصافة ، وموقعها شمالي بلاد تدمر ، قرب الفرات . فحـدث يوماً ان شبّت النار في الحي الذي كان يسكنه اوفرون في بوردو ، فالتهمت المنـازل جميعها إلّا بيت السوري المذكور . فانتشر الخبر ان ذخيرة القـديس سرجيوس المذكور تجعل حاملها سالماً من جميع المخاطر ، فاغتنم اعداء اوفرون تلك الفرصة ، وابلغوا الخبر ارباب السلطة في المدينة فانتزعوا منه ذاك الكنز الثمين .

وهاكم في ما يلي مظهراً آخر من مظاهر الهجرة السورية في غاليـة . ان جميع السوريين لم يسعدوا بالحصول على الملايين كاوفرون المذكور ، ولكنهم لم يفقدوا صفاتهم الاصلية وعاداتهم الشعبية لاسيما حبّ الضيافة الذي شهرهم في بلادهم وحفظوا تقاليده المجيدة حتى في ارض هجرتهم ، كمـا نرى في سيرة القديس كولومبان . كان الملك تيباري الثاني قد نفاه من ارضـه ، فوصل مع رفاقه الى اورليان . ولم يكن احد من سكان المدينة يجسر فيأويه في بيته او يحسن عليه بقطعة خبز ، خوفاً من الملك . فجعل القديس ورفـاقه يهيمون حزانى في اسواق المـدينة ، حتى صادفتهم امرأة سورية . فشعرت بجيرتهم ،

وسألتهم من هم وماذا يريدون . فاجابوها انهم غرباء مطرودون ، وانهم عبثاً كانوا يطرقون جميع الأبواب . فقالت السورية « ادخلوا ، يا سادتي ، بيت خادمتكم لتجدّدوا قواكم . فانا ايضاً غريبة ، أتيت من بلاد الشرق البعيدة » «ex longinquo Orientis solo» . فتبعوها فرحين واستراحوا في بيتها بينما كانت تعدّ لهم الطعام . وقد صادفوا في البيت شيخاً اعمى عرّفته اليهم قائلة : « هو زوجي ، وهو ايضاً سوري المولد «ex eodem genere Syrorum sicut et ego.» وانا ارافقه في كل مكان منذ فقد نور عينيه من سنين طويلة « quem per multorum curricula annorum luminibus privatum trabo.»[1]

ولم ترد المرأة الصالحة ما يمكننا فرضه وهو انها كانت تقوم بنفقة البيت من عمل يديها . أوَ ليس في هذا غاية اللطف ومنتهى الفضيلة والبساطة ؟

وقبل هذا الحادث ببضع سنوات ، زار اورليان الملك غونتران ، فتلقته الجالية السورية بالابتهاج ، وسارت للقائه رافعة اعلامها وراياتها ، منشدةً الاغاني والاهازيج ، هاتفة بلغتها الاصلية اي اللغة السريانية . وكان السوريون ، مع حفظهم هذه اللغة ، يصطنعون في معاملاتهم التجارية اللغة اليونانية ، دون ان يهملوا اللغة اللاتينية التي كانت قد صارت لغة البلاد . فيظهرون من ذلك العهد ، استعداداتهم العجيبة لحفظ اللغات المختلفة . اما في استقبال الملك غونتران ، فتكلموا ، كما قدمنا ، لغتهم الاصلية التي كانوا يتحادثون بها في مجتمعاتهم الخاصة ، وانشدوه دون شك قطعاً مأخوذة من تراتيلهم الطقسية .

تدلّ هذه الحوادث على انه كان في اورليان ، كما رأينا في مرسيلية وزيونة ، جالية سورية وافرة العدد . وهي تُذكر الى جنب لاتين اورليان ويهودها ، فتؤلف احد العناصر الثلاثة المهمة في سكان البلدة . وتراها منظّمة ، مستقلة محافظة على لغتها وعاداتها . . . وعليه فلم يبالغ كثيراً سلفيانوس اذ صوّر السوريين يحتلون اكثر المدن الغالية « majorem partem universarum civitatum » .

ولم يكن مهاجرو السوريين ليصرفوا اهتمامهم عن ليون وهي من كبرى حواضر غالية . واننا نرى الرُقُم تذكر ، قبل سقوط الامبراطورية الغربية ،

١) مجموعة الآباء اللاتين ، لمين ، المجلد ٨٧ ، ص ١٠٣٥

ان في ليون جالية شرقية مهمة. وليس هناك ما يدفعنا الى الظنّ ان هذه الجالية اضمحلت بعد الاكتساحات البربرية . ونحن نرى ايضاً في الرُقم الليونية اسماء نساء سوريات تزوّجن برجال من قدماء الجند الروماني. وقد اكتُشف في انكلترة لوحة تعلو قبر امرأة غالية زوجة رجل سوري . وكذلك احدى قبريات ليون تذكر رجلًا اسمه قسطنطين ، اصله من مدينة جرمانيقية ، وهي مرعش الحالية. وتذكر قبرية اخرى اسم ك . قاليريوس انطيوخوس ليبانيوس ، وهو اسم ، على هيأته اللاتينية ، يدل على اصله السوري ، بل اللبناني على الارجح . ولعلّ صاحبه كان من فنيقية اللبنانية ، تلك المقاطعة التي كانت تشمل حمص ودمشق وانتيلبنان ، دون ان يدخل فيها لبنان المعروف . وبواسطة الرقم الليونية نقف على وجود رجل يدعى يوليانوس اما اسمه السوري الاصلي فهو تيم بن سعد . وقد كان من اعيان بلدته كَنَتا ، وهي اليوم قنوات في جبل الدروز . ثم جاء ليون وانصرف للتجارة في منطقتها حتى اصبح يملك عدّة معامل ودوائر تجارية في وادي الرون ، وكانت علاقاته تمتد حتى مقاطعة اكيتانية . وفي العصر نفسه ، على عهد الامبراطورية الاولى ، تتحقق وجود سورية في بيزانسون ، رتمت على نفقتها هيكل هرمس وأروقته . وفي العصر الميروفنجي ، لم يتأخر مهاجرو السوريين عن مساعدة المعابد المسيحية ، ويرى غيلزر (Gelzer) ان بعض كنائس الفرنج مدينة بافضل ما في كنوزها لسخاء — او كما يقول الاستاذ الالماني — « لرساوس ضمير التاجر السوري . » ولا شك في ان كثيرًا من الآثار الفنية في كنوز كنائس القرون الوسطى شرقية الاصل. وقد كان المثري أوفرون المذكور سابقاً من كبار المحسنين لكنائس بوردو . وسنرى غيره من السوريين يفارون كثيرًا على المناصب الاكليريكية ، غيرة لم تكن دائماً مجرّدة .

وان العبادة المسيحية تذكر دائماً للسوريين استهامهم صورة المصلوب ؛ لا الصليب الراقي الى فجر النصرانية ، بل تمثال المسيح المعلّق عليه . فاننا لا نتحقق وجود المصلوب ممثلًا على الصليب ، قبل القرن السابع ، الا في سورية ، ومنها نقلها المهاجرون الى كنائس غالية. وقد بيّن ذلك الاستاذ بريهيه

(Bréhier) بما ليس بعده زيادة لمستزيد ، ولا يتحمل النقض ولا النقد .

وكان في مدينة تور ايضاً جالية سورية في عصر الميروفنجيين . نشعر بذلك اذا ما تصفحنا كتابات غريغوار التوري ، وهي مجموعة ثمينة لا بدّ من درسها لمن اراد ان يدرس انتشار الشرقيين في ذاك العصر . ويظهر ان مؤرخ الفرنج هذا قد عاشر السوريين مدة طويلة ، فهو يذكرهم دائماً ، ويقرّ بان احدهم ساعده على ان يترجم الى اللاتينية قصة اصحاب الكهف او السبعة النائمين في افسس ، التي كانت منتشرة كل الانتشار في بلاد الشرق . ومن عجيب الاتفاق انه بينما كان غريغوار التوري يُدخل ، بمعاونة احد السوريين ، تلك القصة الى الآداب الغربية ، كان محمد يترعرع في مكة ، فسمعها هو ايضاً من تجار السوريين وتأثر بها تأثرًا شديدًا حتى انه لم يتردّد في ادخاله قرآنه في ما بعد ، جاعلًا منها برهاناً قاطعاً على عقيدة قيامة الاموات .

يذكر المؤلف تيودوريطس[1] ان جميع حوانيت رومة كانت تعرض ، بين سلعها ، دُمى تمثل القديس سمعان العمودي الانطاكي الشهير . على اننا نجهل هل ادخل السوريون هذه العادة في غالية الميروفنجية . ولكن هاكم شاهدًا غريباً على ما اتصفت بهم جاليتهم في باريس من روح الجرأة والاقدام .

في بوردو ، لم يكن للمثري أوفرون السوري الّا ان يشاء . فيرقى الدرجات الاكليريكية ويرث كرسي اسقف تلك المدينة . اما في باريس فاننا نرى احد مواطنيه المدعوّ اوسابيوس يطمح الى الاسقفية ، فيشتري اصوات الناخبين الذين لم يتردّدوا في قبض ماله ، وانالته ما شاء . ولم يستقرّ به المركز ، على قول غريغوار التوري ، حتى صرف جميع موظفي الكرسي الاسقفي وابدل بهم مواطنيه السوريين . وهو عمل في النهاية من الجرأة لا نعرضه هدفاً للاعجاب ، ولكنه يدلنا على ما وصل اليه السوريون من النفوذ والتأثير وما اختصوا به من الحركة والاقدام في فرنسة في القرنين السادس والسابع .

هذا ويجدر بنا ان لا نقف عند هذا المشهد . فانه ، وان لم تكن اعمال السوريين في فرنسة مرتفعةً دائماً الى الغايات النبيلة — ولا عجب في

(١) الآباء اليونان ، لمين ، المجلد ٣٢ ص ١٤٧٢

ذلك ! — فيجب ألا تنسى الخدمات الجليلة التي ادّوها لبلاد هجرتهم في اوائل القرون الوسطى ، عصر القلاقل والاضطرابات . وان جميع الشعوب التجارية والمستعمرة ، بينا تفتّش عن مصالحها الخاصة ، وتسير لتحقيق منافعها الشخصية ، تراها تعمل ، من غير ان تشعر احياناً ، على ادخال الحضارة واقرار المدنية ، وتعزيز العلاقات النافعة بين الشعوب . لما تقرّر من انه لا تتلاقى مدنيتان الا تأثرت كل منهما بالاخرى فاستفادتا جميعاً . ويصف لنا سيدوان ابوليناريس سيدة غالية تحلّ مردنها على طريقة السوريات ، وتخالف في نولها بين خيوط الذهب والحرير المستورد من بلاد الشرق . وكذلك كان لسورية فضل اطلاع فرنسة على القطن الذي لم تصدره مصر الّا بعد ذاك بزمن طويل .

رأينا ان سلفيانوس بعيد من ان يظهر العطف على مهاجري السوريين . ولكنه بعيد كذلك ، مع معاصريه من الغاليين ، من ان يظهروا اعتباراً لاسيادهم البرابرة الذين باتحادهم مع العنصر السلتي ولّدوا الشعب الفرنسوي الحاضر . اما السوريون في فرنسة فكانوا يمثلون اذ ذاك العنصر المتمدّن الراقي ، فخفّفوا بذلك من غلواء البربر وارقوا نوعاً ما تقدّم البربرية . وكانوا اقرب الى الغاليين ، من هؤلاء الى قبائل الجرمان المكتسحين ؛ فعملوا على تمريد الفرنج والقوط والبورغوند حياة الهدوء والرخاء ، حتى لطّفوا اخلاقهم ومدّنوهم . ثم ان تجّار السوريين ، وان لم يكونوا من غواة الاعمال العقلية ولا الفنانين ، فقد آثروا انحطاط الثقافة اللاتينية القديمة ؛ وعملت جالياتهم على حفظ اللغة اليونانية في بلاد غالية ، بل على تقدّمها ايضاً . اما ما افادوه الغاليين من حيث التأليف فلا يمكن ان يكون توقف على قصة اصحاب الكهف . وان جميع ما ذكرناه ، حتى تدخلهم في الشؤون الكنسية تدخلاً كثير الجرأة بعض الاحيان ، يظهر ان السوريين لم يحصروا حركتهم في محيط التجارة فحسب وقد قال بريهيه (Bréhier) « انهم اتوا الغرب بنظريات جديدة فادخلوا الى غالية ، بفضل نفوذهم ، طرق الشرق في هندسة البناء الدينية ، وفي التصوير والرسم ، وعمل الايقونات ، بل في الافكار الدينية ايضاً . » وان هذه الخدم لجديرة بان تُذكر فتُشكر .

البيتر اللبناني

بقلم انطوان باز
المهندس من المكتب الافرنسي في بيروت
ومن مدرسة الكهرباء العليا في باريس

١

لا ريب في ان نجاح كل دولة متوقف على حسن سياستها ، ونشاط زراعتها ، وازدهار صناعتها ، ونموّ تجارتها . . فما كان يا ترى نصيب لبنان وسورية من ذلك قبيل الحرب ؟ شيئاً قليلاً لم يكن يكفي لنجاحهما وسعادة اهليهما . يقولون ان سهولنا ، بمحصولاتها ، طالما كانت مؤونةً لبلاد الرومان ، وان صنّاعنا من نحّاسين وحيّاكين ونحّاتين طار صيتهم في المشرق والمغرب ، وان الفينيقيين كانوا تجّارنا اجدادًا واسلافًا . . . ان ذلك لصحيح . غير ان وجود الزارع والصانع والتاجر لا يكفي لتقدم الزراعة والصناعة والتجارة ، لا سيما في عصر تسرّبت فيه العلوم الى كل من تلك الصناعات فقلبتها ظهرًا لبطن .

ولنا شاهد على ضعفنا ما قاساه لبنان وقت الحرب من الضيق ، اذ سدّت عليه طرق الغرب برًّا وبحرًا . لذلك لم يأتِ عهدُ الاستقلال حتى سادت بيننا فكرة مهمة ، الا وهي تحسين صناعاتنا الوطنية وتشجيعها ايًّا كانت ، فيخفّ الوارد الينا ان لم يزد الصادر منا . وعلى اثر ذلك اوجدت في حلب والشام ولبنان معامل شتى للنسج ، واستقطار الكحول ، وعمل القرميد ، وما شاكل .

ومال البعض ما يحرق في بلادنا من الزيت والبترول سواء كان للنور ام للقوى المحركة فعمدوا ، اسوةً ببلاد الغرب ، الى استثمار الشلالات الطبيعية ، فكان مركز زحلة الكهربائي وقوته ثلثمائة حصان ، ومركز نهر الكلب لشركة كهرباء جونية وضواحيها .

ولعل مما صنع في هذا الصدد ، في لبنان ، ما قام به اهل الشمال من الاعمال بهمة الحبر الجليل المفضال المطران انطون عريضه ، اسقف مدينة طرابلس . وانه ليسرنا ان ننشر ، في صدر مقالنا هذا ، رسمه الكريم ، اعترافاً بفضله على الحركة الصناعية التي اوجدها في البلاد من مشروع قاديشا لانارة طرابلس وكل منطقة الشمال ، الى مشروع نهر ابو علي ، الى مشروع السيمنتو في شكا ..

تأسيس مشروع السيمنتو

كثر البناء في لبنان وسورية ، فقامت الدور والبنايات الفخمة على انقاض ما تركته الحرب من الخراب مما جعل بعض الاجانب يقول معجباً : « ينبت البناء هنا كالعشب » . ومن المعروف اليوم ان السيمنتو ، او التراب الصناعية ، من اهم مواد البناء لاستعماله في البطون المقوى ، والبطون البسيط ، والورقة وغيرها ، عوضاً عن الطين الكلسي . وقد شاع استخدامه لعمل انابيب المياه ورصف الطرق الخ . ومنه تعمل اليوم العواميد المبرومة لمد الاسلاك الكهربائية .

وان لم يكن ليعم استخدام السيمنتو عندنا فاستعماله للبناء كاف لان تبلغ مقطوعيتنا منه ، في كل سنة ، ما يقارب المائة والخمسين الف طن . لذلك راجت تجارته في وقت وجيز ، فربح المتجرون به اموالاً طائلة . ويا حبذا لو اتفقت تلك المنافع الشخصية مع المنفعة العمومية . وكيف يكون ذلك وهذه الكمية من السيمنتو تستورد كلها من الخارج على حساب الطن عشر ليرات سورية — مما يعادل سنوياً مليون وخمسمائة ليرة سورية ! !

ومن لا يستكبر هذا الخلل الاقتصادي اذا عرف ان السيمنتو ما هو الا اجزاء متناسبة من « الحوارة » او التربة الدلفانية ، والتربة الكلسية ، تمزج دقيقاً وتخبز في افران مخصوصة . وهل يخار بلد من هاتين المادتين ؟

وقد شعرت فلسطين من قبلنا بهذا النقص فاوجدت لها معملاً للسيمنتو يكفي لسد حاجاتها .

اما اول من سعى في هذا المشروع ، في لبنان ، فهو سيادة المطران

انطون عريضه كما جاء في رسالة له قال :

« ورأينا من مصلحة البلاد ان نحذو حذوَ جارتنا فلسطين اذ اوجدت لها معملاً جيداً للترابة الصناعية . ولمَّا لم نرَ من اقبل جدّياً على هذا المشروع من المواطنين ، اخذنا ندرسه ونهتم باظهاره الى حيز العمل . وكان بودّنا ان يكون المشروع كله وطنياً ، واذ لم نتوفق الى ذلك وخشينا مزاحمة الاجانب اضطرنا الامر ان نشرع بهذا العمل مع شركة افرنسية تدعى « شركة الدروس والاسلاك الكهربائية » . . .

وتفاصيل الحال هو ان المهندس فرنان شيرونه كان قد اتى الى طرابلس ليشارف على اعمال قاديشا ، فكلفته شركة الدروس والاسلاك الكهربائية ، في باريس ، ان يدرس لها في البلاد مشاريع جديدة ، فعرض على سيادته مشاركة اللبنانيين في مشروع السيمنتو ، فكان من ثمّ اتفاقية اولى .

وما عاد السيد شيرونه الى باريس واعلم شركته بما حاز وبمستقبل المشروع الجديد حتى ارسلت من قبلها السيد شكس ، المهندس الخبير بعمل السيمنتو ، وكلفته درس المشروع ملياً من الوجهة الفنية والاقتصادية معاً . وما قدم هذا حتى بدأ بالدرس والتنقيب عن الصالح من التراب . فاعجبته تربة الاراضي الممتدة على شاطئ البحر قرب قرية شكا ، في جنوبي طرابلس ومعظمها من « المارن » وهو في علم طبقات الارض مزيج من الحوّارة والكلس . وقد سُرّ لوجود تلك المواد الاولية على مقربة من البحر والطريق العمومية ، تسهيلاً للمواصلات خصوصاً في نقل الصادر من السيمنتو .

ومكث السيد شكس في البلاد زهاء اربعين يوماً ما انفكّ يدرس في خلالها تفاصيل المشروع حتى عاد الى فرنسة فقدّم للشركة التي انتدبته درساً وافياً مقدرًا تكاليف العمل بمبلغ مائة وثمانين الف ليرة عثمانية ذهب .

وعلى اثر ذلك عاد السيد شيرونه الى البلاد مفوضاً بشراء الارض اللازمة في شكا وجوارها . وقد تمّ ذلك بعد ما بذلت الشركة في سبيله كل غالٍ ونفيس ، اذ ان البعض من اصحاب الاملاك احبوا اغتنام الفرصة فتظاهروا بعدم البيع او طلبوا اثماناً باهظة . ومما زاد في الطين بلّة مساعي الشركات المزاحمة ،

فذهبت اتعابها ضياعاً.

***

وسافر سيادته الى باريس مع بعض المكتتبين من الوطنيين. فجرت هناك الاتفاقية الاخيرة، وقد جددت فيها بعض النقاط منها ان يكون مركز الشركة في لبنان. ثم وضع قانون الشركة وجعل الاكتتاب على الوجه الآتي: يقسم رأسمال الشركة الى ستة وثلاثين الف سهم، نصفها للوطنيين والنصف الآخر للاجانب، فتكون قيمة السهم الواحد خمس ليرات عثمانية. واهم المساهمين من الوطنيين هم:

سيادة المطران انطون عريضه	١٤٨٣٧ سهماً
السيد رشيد عريضه	١٣٠٠
« رشيد كيروز	٦٠٠
« المهندس البر نقاش	٢٤٠
« عزيز نادر	٢٠٠
« اميل ناصيف	٢٠٠
اما من الاجانب فهم:	
بنك جنيف	١٢٠٠٠
شركة المشاريع الصناعية اللبنانية السورية	٤٠٠٠
شركة الدروس والاسلاك الكهربائية	١٥٠٠ الخ

اما الاسهم التي اكتتب بها سيادته فلمنفعة الاهلين يشترون منها ما يستطيعون اذ ان الغاية من تأسيس هذا المشروع انما هي مساعدة الوطنيين على الاستفادة منه.

ولما تم الاكتتاب ودفع ربع الرأسمال، دعي المكتتبون الى اجتماع عام في حي الشانزليزه في باريس، فعرض عليهم قانون الشركة فوافقوا عليه. ثم ألفوا مجلس ادارة الشركة فكان للفرنساويين: الكولونل بول ده والبارون ريل والسيد غبريال ارنو والسيد فرنان شيرونه والسيد مولون والسيد كوس المدير الثاني لبنك جنيف.. وكان للبنانيين سيادة المطران عريضه والمهندس

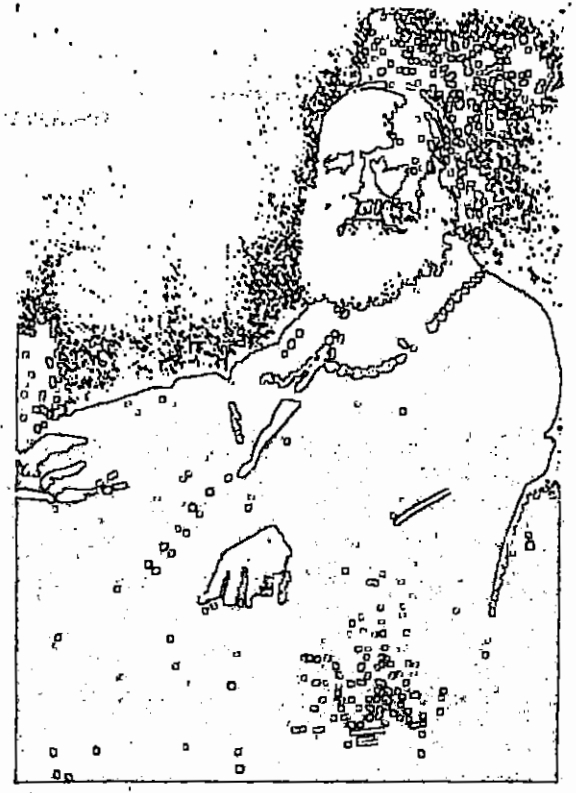

سيادة المطران انطون عريضه
صاحب الفضل الاكبر بتحقيق مشروع السيمنتو في شكا

السيد شكب (Chaix)
المهندس المتبير بعمل السيمنتو ورئيس معمل شكا الوطني

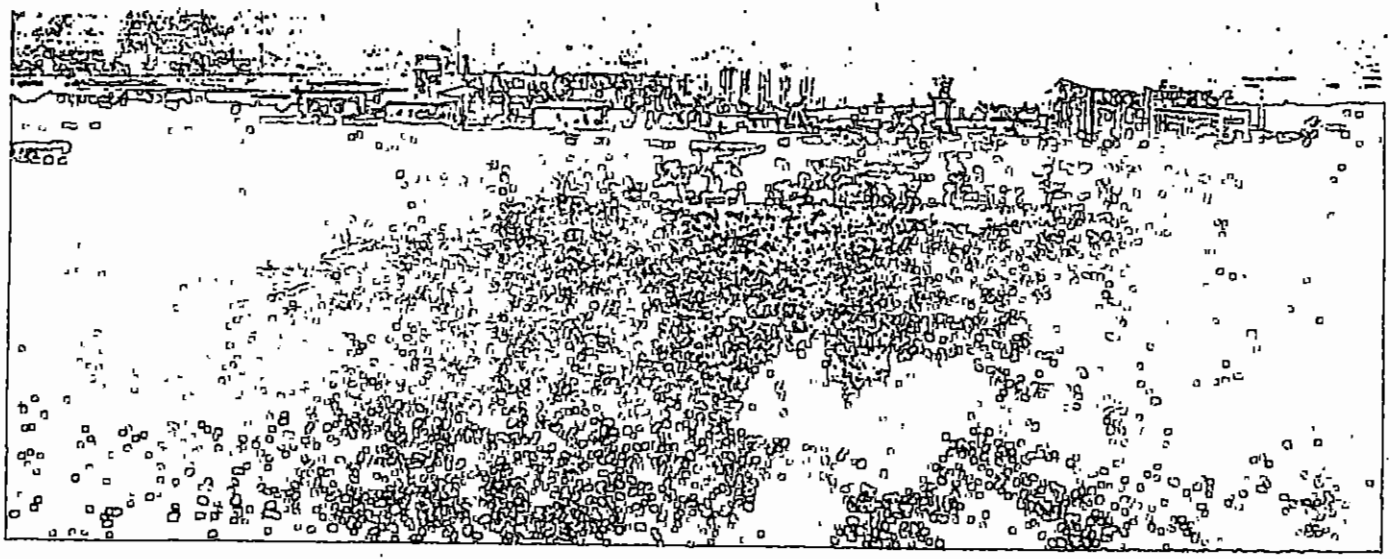

منظر عمومي لمعمل السيمنتو الوطني في شكا

البر نقاش والسادة جورج صعب ورشيد كيروز واميل صعب وعزيز نادر .

ولما تم تأسيس الشركة ، اجتمع اعضاء المجلس فاختاروا الكولونل ده رئيساً ، وعضوين مفوضين هما سيادة المطران انطون عريضه والسيد غبريال ارنو . ثم كلف المهندسان بلنشه وشكس لشراء الادوات اللازمة وعمل الخرائط ومراقبة الاشغال . وتكلف الاستاذ الفرد نقاش تقديم القانون الى المراجع القانونية في لبنان وطلب الترخيص به وتسجيله . فتم ذلك واعطى رئيس الجمهورية اللبنانية قراراً بالترخيص بتاريخ ٣١ ك ٢ سنة ١٩٢٩

اما ارباح الشركة فستوزع على الوجه الآتي :

تحفظ خمسة بالمائة من الارباح الى الشركة ، ويعطى للمكتتبين فائدة ستة بالمائة عما دفعوه من المال . والباقي يعطى منه ٦٥ بالمائة للمكتتبين ايضاً ، وعشرة بالمائة لمجلس الادارة ، و ٢٥ بالمائة للاسهم التأسيسية .

***

تلك لمحة تاريخية عن كيفية تأسيس هذه الشركة التي قامت باعمالها بهمة ونشاط ، رغم ما لقيته من المصاعب والمشاكل . وسوف تخرج في الشهر القادم اول عيناتها من السيمنتو الوطني اللبناني .

وقد ساعدني الحظ بزيارة معمل الشركة ، وهو في حالة البناء ، وكنت وقتئذٍ بمعية بعض اساتذة الكلية اليسوعية وتلامذة صف الفلسفة . فاستقبلنا السيد شكس بوجه بشوش وصدر رحيب هو وعقيلته الفاضلة ، مما دل على مكارم اخلاقهما : وقد ابى المهندس الخبير الا ان يرافقنا بزيارتنا ، رغم اشغاله المتراكمة ، فسار وايانا شارحاً تنسيق الاعمال ، مبيناً ما اعترضه من الصعوبات في تحقيقها ، لكنه ناظراً الى المستقبل باعين ملؤها الامل .

وشاء ان يختصني ببعض التعليمات الفنية استبقيها للعدد القادم شاكراً له . وانني تبياناً لفضله واقراراً بمقدرته في الفن استميحه نشر رسمه الكريم ، وهو ينم عن قوة في الارادة وهمة وثبات في العمل . . .

(للبحث صلة)

دلبتا

نبذة تاريخية

للخوري بطرس روفائيل

الفصل الخامس

كنائسها واوقافها (تابع)

وفي سنة ١٧٦٥ انتخب الاهلون ابا جرجس ابن الحاج عطا الله روفائيل وكيلًا على الكنيسة ، اذ توسموا فيه الهمة والحنكة والدربة ، والتمسوا من البطريرك طوبيا الخازن منشورًا لطلب الحسنات ، وتعاهدوا على انه في كل عام يدور احد وجوه القرية لجمع الصدقات ويسلمها الى الوكيل المذكور لينفقها على تتميم الكنيسة. فنهض ابو جرجس لمباشرة وكالته واستقدم البناء نعمة بُطيش من مزرعة كفردبيان فواصل العمل حتى تم سنة ١١٨٠ هجرية ، كما يُنبئ التاريخ المحفور على حجر موجود للآن داخل المشكاة فوق عتبة الباب القبلي الجديد . وفي سنة ١٨٦٧ نظم الخوري فرنسيس الشمالي[1] ، بناء على طلب الخوري يعقوب الحاج ، تاريخًا مسيحيًا مطابقًا للتاريخ الهجري ، فنُقش على قطعة من الرخام فوق عتبة الباب الشمالي وهذه حرفيته :

يا حُسنها بيعةً لله قد رُفعت ... فيها المُقطَّع شَهمٌ يحرسُ البلدا
يعقوب في مجده يدعو بساحتها ... اني شهيدٌ ونخل النصر لي شهدا
فاصغوا لمن قال حقًا في تأرّخها ... لا ترهبوا من فريق يقتلُ الجسدا (٢)

فالقارئ المنتقد يرى ان الناظم اهمل في حسابه ستين فجعل سنة ١٧٦٤ مسيحية موافقه لسنة ١١٨٠ هجرية والحقيقة هي سنة ١٧٦٦ .

---

١) سيم اسقفًا على مدينة حلب باسم جرمانوس سنة ١٨٩٢

٢) الخوري بشاره الشمالي : نظم اللآلئ للحبر الشمالي ، ص ١٦٩ . روى المؤلف ان التاريخ نُظم سنة ١٨٤٧ لا سنة ١٨٦٧ كما كتب الخوري منصور .

تمت بناية الكنيسة فجاءت فسيحة بالنسبة الى تلك الايام والى حالة القرية ، طولها نحو ٢٠ متراً ، وعرضها ١٢ متراً . وفي غضون ذلك سيم الوكيل النشيط كاهناً في شيخوخته اي بعد سنة ١٧٨٠، ودُعي الخوري بطرس . وفي سنة ١٧٨٥ كرّس الكنيسة المطران جبرائيل مبارك ، ورئيس اساقفة بعلبك . وسنة ١٧٩١ تبرّع سرعي الحاج ، جدّ البطريرك يوحنا الحاج ، بنفقة قبة الجرس ؛ واوصى الخوري بطرس روفائيل ولده يوحنا ، الذي كان آنئذٍ في رومية تلميذاً في مدرسة الطائفة ، بجرس ، وصار استجلابه بواسطة بطريرك السريان ميخائيل جروه كما يظهر من كتاب من البطريرك المذكور الى كهنة رعية دلبتا مؤرخ سنة ١٧٩٥ [1] . ولم يكن نقل الجرس من رومية الى لبنان بالامر السهل اذ

---

(١) يجدر بان نثبت نصّ هذا الكتاب لزيادة الافادة :

« البركة الرسولية تشمل حضرة ولدينا العزيزين الخوري بطرس والخوري الياس الاكرمين باركهما الرب الاله بأتم بركاته الملية امين .

« بعد اهداء البركة السموية وبليغ الشوق الى محبتكما نخبركم قد حضر لنا مكتوب خاص من حضرة ولدنا المتواجه يوسف حمصي بقبرص وبه أعلمنا انه وجه الجرس الى بيروت تحت يد حضرة ولدنا المتواجه موسى سمنه لزم انا اعلمناكم حالاً حتى لا تتعبوا بمن ترسلوا الى قبرص لاجل حضور الجرس المذكور كما اتفقنا معكم سابقاً وحساب الجرس المذكور وكلفته تروه مفنداً بجانب هذا المكتوب فمن التفنيد المرقوم يتضح لكم بان باقي لنا تسعة وعشرون غرش واربعة فضة ما عدا الكلف والمصاريف التي للان لم يأتينا علمها كما نحن واضحون ذلك جلياً في قائمة التفنيد الموردة بجانبه واما كلف الجرس الى بيروت وفي بيروت ايضاً يجب انكم تدفعوها الى ولدنا المتواجه موسى سمنه فالمراد احضرا الى هنا واصحبا لنا معكم غرش ٣٩ وفضة ٤ المرقومة اعلاه الباقية من ثمنه وكلفته الى ليكورنا وجيبوا معكم ايضاً ثلاثين غرش تحت حساب باقي الكلف ما عدا كلفته من قبرص الى بيروت وفي بيروت كما حررنا واذا حضرتم الى عندنا مع الدراهم تسلكم مكتوب منا الى حضرة ولدنا المتواجه موسى سمنه المذكور لتتسلموا من عنده الجرس ولا يلزم لكما تحريج ازود والبركة تشملكما »

مكان الختم اغناطيوس ميخائيل
بطريرك السريان الانطاكي

والى جانب الكتاب المذكور وضع البطريرك « بيان قائمة تفنيد ثمن ومصاريف الجرس الذي لضيعة دلبتا الى حد ليكورنا وذلك بموجب تحرير حضرة الاب يوسف عجلوني برومية

كان في نية وكيل الكنيسة ان يُسيّر الى قبرص رسولًا لاستحضاره ، غير ان حسن الحظ خدمه فوجد من اعتنى بايصاله الى لبنان .

وفي سنة ١٨٠٣ ، اهتم وكيل الكنيسة بطرس التحومي بتبليط الخورس وكنيسة النساء [1] وفي سنة ١٨٠٨ بُدئ بحفظ القربان المقدس في بيته ، وذلك بعناية الاب منصور الفرنسيسكاني الذي اتى دلبتا من دير حريصا لنشر غفران اليوبيل ومكث فيها مدة ثمانية ايام يعظ ويرشد ، وكان يحتفل بزياح القربان في كل مساء ويحث الشعب على زيارته وعبادته ، وكانت صابية شقيقة الخوري عبدالله الحتوني عائشة بتولًا فخصصت نفسها لملاحظة الكنيسة وخدمة القربان ، ولبثت مواظبة على عملها هذا الحميد الى وفاتها في سنة ١٨٣٥ . ومنذ ذلك الحين لا يزال القربان محفوظًا في بيته مكرّمًا من الاتقياء ، ومخدومًا بدون انقطاع الى الآن . وفي سنة ١٨٢٥ باشر وكيل الوقف الياس مراد بناء المدافن المستاة « الخشاخيش » في ساحة الكنيسة الشمالية ، وكرّسها في السنة التالية

بمكتوبه المحرر سنة ١٧٩٤ » . ومن هذا البيان يستفاد ان وزن الجرس ٤٤٤ ليبره ، وثمنه « ١٠٣ سنوت ، و٨ جوليه » .

وعلى قفا هذا الكتاب تقرأ ما يأتي :

« سبب تحريره .

« انه في الثامن عشر من شهر شباط لسنة ١٧٩٥ حضر لمندنا حضرة ولدنا الخوري بطرس رافايل من دلبتا ودفع لنا التسعة وعشرين غرش واربعة مصاري الفاضلة من ثمن وكلفة الجرس الى ليكورنا لان الثلاثة سنوت وصلتنا سابقًا كما مرقوم في مكتوبنا هذا واما باقي كلف الجرس من حين طلوعه الى ليكورنا ووصوله الى قبرص وتنزيله الى البحر فن كون ما وصلنا بعد من الوكلاء الذين حضر عن يدهم اعلام عن ذلك . فلذلك دفع لنا ولدنا الخوري بطرس المذكور اعلاه تسعة عشر غرش على الحساب المذكور ولاجل البيان جررنا ذلك ومن بعد اعلام الوكلاء لنا عن المصاريف فان زاد شيء عن التسعة عشر غرش فآخذه من الخوري المذكور وان نقص شيء ندفع له اياه حرر في ١٨ شباط سنة ١٧٩٥ » .

١) هاك اسماء وكلاء الكنيسة واوقاتها : الخوري بطرس روفائيل (١٧٩٥-١٧٩٤) — بطرس التحومي (١٧٩٤-١٨١١) — الياس مراد (١٨١١-١٨٤٨) — كنعان ديب (١٨٤٨-١٨٨١) — الخوري منصور الحتوني (١٨٨١-١٩٠٨) — الخوري اسطف بطرس ديب (١٩٠٨-١٩١٧) — الخوري لويس الحتوني (١٩١٧-١٩٢٤) — يوسف ابي حاتم من ١٩٢٤ الى يومنا .

باب الكنيسة الغربي

مذبح مار يعقوب

باب كنيسة النساء

المطران انطون الخازن ، رئيس اساقفة بطبك . واشترى الخوري يعقوب الحاج سنة ١٨٣٣ تاج عود من الرخام منقوشاً نقشاً جميلاً على الطراز اليوناني الروماني وُجد مطموراً في احد البساتين بجوار نهر ابرهيم ، وهو من بقايا تلك الهياكل الوثنية المكرّسة لعشتروت الهة الحب ، وبعد ان وُضع لقيام بيت الدنس اصبح في بيت الله اناء لماء الحياة الروحية ، اذ انه نُقر جرناً للمعمودية وهو باقٍ الى يومنا وقد كرّسه في سنة ١٨٣٤ المطران انطون الخازن .

وقد تعدّى اللصوص مرّتين على الكنيسة في سنة ١٨٤٠ وسنة ١٨٧٥ ، وسلبوا في كل مرة ما كان ذا قيمة ثمينة من الذهب او الفضة كآنية القداس ، وشطاع القربان ، وحُقّة القربان ، وقناديل ومباخر من الفضة والملبة المتضمّنة ذخيرة مار يعقوب ، وقد أُجري تفتيش وتحر فلم يُرَ للسارقين أثر . ولما شاخ الياس مراد واصبح عاجزاً عن القيام بواجبات وكالة الوقف استعفى ، فعُيّن مكانه سنة ١٨٤٨ كنعان ديب . وكان هذا قد أخذ فنّ التصوير الزيتي عن عمّه الخوري موسى ديب ، رئيس دير سيدة الحقلة ، فرفع الصور الموجودة في الكنيسة ووضع صوراً جديدة عملها على كيس الوقف [1] ، وفي سنة ١٨٧٣ شيّد خزانة الكنيسة ، اي السكرستيا ، في الجهة القبلية . واشترى المطران يوحنا الحاج سنة ١٨٧٦ ، من مال الكنيسة ومن تقادم كهنة القرية ، بيتاً للقربان من الرخام الناصع الجميل منزّلٌ فيه قطع من الرخام الملوّن ، وهو الى يومنا على المذبح الكبير . وسنة ١٨٨٠ بُلّط الخورس بالرخام وغُطّيت بالرخام ايضاً المذابح الثلاثة التي فيه ، وقد بلغت نفقة هذه الاصلاحات ٦٧١٠ غروش ، قدّم منها سكّان القرية وكهنتها ٥٤٠٢ ، ودفع الباقي من صندوق الوقف . وفي سنة ١٨٨١ اقيم مذبح جديد على اسم العذراء ، وأُتي بدرابزون الخورس ،

---

١) قد انجز المرحوم كنعان ديب لكنيسة مار يعقوب سنة ١٨٦١ صورة مار روكز ، وسنة ١٨٦٨ صورة الحبل بلا دنس ، وسنة ٨٥٥ صورة مار الياس وصورة القديسين الرسولين بطرس وبولس ، وهذه الاخيرة بيعت سنة ١٨٨٩ لاحدى كنائس بلاد جبيل ، ووُضع مكانها صورة للمصور الشهير دارد القرم ؛ وسنة ١٨٥٩ صورة مار جرجس ، وسنة ١٨٦٠ صورة مار يوحنا الصدّاق على باب بيت المعمودية ، وسنة ١٨٦٨ صورة مار يوسف .

ويؤخر بناء القبو الذي وراء الكنيسة شرقيها . وسنة ١٨٨٢ بُلطت بالرخام كنيسة الرجال ، وشُيّدت مدرسة للصبيان فوق السكرستيا.

كان باب الكنيسة القبلي حقيرًا صغيرًا ، وسبب ذلك انه لما شُيدت الكنيسة كانت الجهة القبلية منها غابة كثيفة ليس فيها من البيوت الّا القليل، فأُهمل اتقان هذا الباب ووجّه الاعتناء الى تحسين باب الجهة الشمالية التي كانت وحدها عامرة .

ولما كثر السكان وقطنوا في كل انحاء القرية اصبح اكثرهم يدخلون الكنيسة من الباب القبلي ، فعزم على تغييره وكيل الوقف ، الخوري منصور ، فاستقدم النحّات سليم مرجان من بيروت واطلعه على رسم المشروع وهيئته ، فاخذ النحّات في العمل وانهاه سنة ١٨٩١ ، فجاء بابًا جميلًا فخمًا يندر وجود مثله في كنائس لبنان يسترعي انظار الزائرين ويُدهشهم . وجدّد النحات سنة ١٨٩٣ باب كنيسة النساء فجاء جميلًا ايضًا ومتقنًا ، غير انه دون الاول فخامة. وغيّر هيئة. مذابح الخورس الثلاثة فاقامها على طراز الباب القبلي بالحجر الابيض المصقول والمنقوش ، وكانت نهاية العمل سنة ١٨٩٤ ، وبُني سنة ١٨٩٦ على سطح القبو القائم وراء الكنيسة مدرسة للصبيان كبيرة واسعة ، وكانت النفقة على الاهلين والوقف . وسنة ١٩٠٦ هُدمت قبة الجرس واقيم غيرها على طراز جديد بالحجر الابيض النظيف ، وفيها جرسان. وشُيّدت في السنة ذاتها مدرسة للبنات في « قاطع الشميس » بالقرب من الكنيسة ، عوضًا عن المدرسة القديمة التي كانت في « قاطع الضليل » .

ومن العادات القديمة ان تكون مدافن الكهنة في داخل الكنيسة . قال الخوري منصور : « قد جعلوا في كنيستنا اربعة مدافن في اربع زوايا كنيسة النساء اي في كل زاوية مدفن واحد وكانت تُستعمل لدفن الكهنة اللهم الّا مدفن الجهة الشمالية الذي يلاصق المضادة البحرية وقد ذكر هذا القبر المرحوم الخوري يعقوب الجميّل في حاشية بخطّ يده علّقها في آخر نبذة الخوري يعقوب الحاج الذي مرّ بك ذكرها يقول فيها هكذا « ان المرحوم الخوري يعقوب الحاج برح من باله ان يذكر الثلاث أشوار التوت الذين فوق دارة الكنيسة

الشمالية فهؤلاء من املاك ابي حنا اسعد ووفائيل من سلالة ابي فرح بطرس فعند توفي ولده البدوي دفنوه في كنيسة النساء قرب العضادة الشمالية واعطى للكنيسة ثمن القبر المذكور الشورتين التوت الذين فوق ساحة الكنيسة ولما توفي اخوه حنا اسعد كان صار المنع عن دفن العوام في الكنيسة من مطران الابرشية فدفنوه في مدفن خصوصي في ساحة الكنيسة القبلية واعطى الورثة للكنيسة الشورة التوت الثالثة الذي فيها الطريق للكنيسة[1]». ولما كانت الاسباب الداعية الى منع الدفن في داخل الكنيسة وجيهة مهمة، حُوّل القبو الملاصق للكنيسة الى مدافن للكهنة، واول من قُبر فيها الخوري يعقوب الجميّل الذي توفي سنة ١٨٩٢.

ولم يكن لكنيسة مار الياس القديمة اوقاف . اما كنيسة مار يعقوب فلها املاك كانت قبل الحرب ذات دخل غير يسير ، واول من وقف لها الارزاق الخوري يعقوب الحصروني الاول ، وقد روى كيفية ذلك الخوري يعقوب الحاج في نبذته المذكورة اعلاه قال : « ان الخوري يعقوب المتوفى كان له ولد انتُخب عوضه كاهناً في الضيعة وفي ايامه صار الشروع في تأسيس الكنيسة وحدث اختلاف بينه وبين البعض من اهالي الضيعة بدعواهم ان الارزاق المتروكة عن ابيه هي للكنيسة فتقاضيا في ديوان السيد الذكر البطريرك اسطفان الدويهي فمن بعد الفحص المدقق فما وجد رسم ولا حجة مسطّرة باسم الوقف بل جميع الارزاق مشترية من مال الخوري يعقوب الاول الذي هو اب الخوري يعقوب الثاني فحينئذٍ حكم المرحوم البطريرك المذكور بان جميع الارزاق هي ملك الخوري يعقوب المرقوم يتصرّف بها من دون مُعارض ... وبعد ان تسلّم الخوري يعقوب الحكم من غبطته فمن ذات خاطره اوقف نصف ارزاقه الى الكنيسة بموجب صكّ وقسمها مناصفة[2] » . ومنذ ذاك الحين اخذ سكّان القرية من كل العيال يقفون بعض ما يملكون ، وقد ذكر ذلك الخوري منصور في نبذته فقال : « واقتدى بالخوري يعقوب الاول ولده الخوري يعقوب الثاني ثم الخوري بطرس ووفايل واخذت من بعدهم الأملاك والارزاق تتوارد وقفاً الى الكنيسة تقريباً من كلّ العيال تخصّ منها عائلة بيت مراد

١) السجل ص ٢١ و٢٢ ٢) نبذة الخوري يعقوب الحاج عدد ٢ و٣ و٦ و٧ و٨

وعائلة بيت دوفايل وبيت الحتوني[1] » . وسنة ١٨٥٠ اتفق الخوري يوحنا الحاج والخوري يوحنا زوقائيل على ان يهب هذا الاخير للخير ما كان عنده من الاملاك فوقفها جميعها لكنيسة مار يعقوب وخُصّصت الحجرات التي كان يقيم فيها مدرسة لتعليم اولاد القرية كما سنذكر ذلك في ترجمة هذا الكاهن الفاضل[2]

٢ كنيسة سيدة النجاة

لما توفي الخوري يعقوب لاوندوس الحتوني سنة ١٨٦٤ ، اتفق ورثته ، وهم اولاد عمه ، على حبس ما خصّهم من الارث في سبيل الله . وقد فاق الجميع همّة وغيرة احدهم المدعو باخوص . كان هذا عاقرًا فوجّه عنايته كلها الى هذا الامر ، ورغب في ان يجعل هذه التركة مدرسة لاولاد القرية ، فاستشار الطيب الذكر المطران يوحنا حبيب ، وكان آنئذٍ كاهناً مقيماً في دلبتا ، فحبذ فكرته كثيرًا ونشّطه . وفي سنة ١٨٦٥ وقّع باخوص واخوته صكاً فيه يعلنون انهم وقفوا طوعاً وعن رضى لفقراء دلبتا ، ومن بعدهم لفقراء الطائفة ، ما تركه لهم عمهم اي بيته والرزق الذي حوله وطلبوا ان يُبنى هناك كنيسة على اسم السيدة يخدمها كاهن يعينه مطران الابرشية ، ومدرسة لتربية الاحداث بخوف الله وتعليمهم واجبات الدين المسيحي والقراءة السريانية والعربية . فشعر مطران الابرشية يوحنا الحاج ، بالفائدة الناجمة عن هذا العمل ، لاسيما للذين تبعد عنهم كنيسة الرعية ، فصدّق الصك ورسم ان يسمى البيت المتروك كنيسة سيدة النجاة ، واجاز تقدمة الذبيحة الالهية فيها وتوزيع الاسرار ، ما عدا سرّ العماد والتناول الفصحي واقامة القداس في عيد شفيع كنيسة الرعية الواقع في ٢٧ تشرين الثاني . فشرع باخوص منذ ذاك الحين يرمّم البيت ويُحسّن هيئته حتى جعله معبدًا لائقاً ، ولم تقف حميّته عند هذا الحدّ بل اخذ يبتاع الاملاك المجاورة والآنية الكنسية اللازمة حتى بلغ ما دفعه من ماله في وجه هذا المشروع المبرور نحو ثلاثين الف غرش . واقام ولياً على هذا الوقف ، يرضى

---

١) النبذة التاريخية ص ١٠٦ وما يليها .

٢) النبذة التاريخية ص ١٠٦ وما يليها . السجل ص ٢١ و٢٢

مطران الابرشية ، المرحوم الخوري منصور الحتوني[1] . ولكي يحقق الوكيل المذكور نية الواقفين بدون ابطاء سأل الخوري يوسف الجميّل ، رئيس جمعية « الراهبات المريمات » ، ان يرسل راهبة الى دلبتا لتهذيب بناتها وتعليمهنّ القراءة والخياطة . فاجاب الرئيس الطلب وعيّن لهذه المهمة الراهبة التقية مارينا البكفاويّة ، فحضرت وجمعت التلميذات في البيت الذي اشتراه باخوص للوقف من روحانا بو بسترس في مكان الكنيسة الحالية ، وبدأت في تتميم واجبات وظيفتها ، وكان ذلك سنة ١٨٦٥ . غير ان عدوّ الخير كان ساهراً فحرّك البعض من السكّان فعاكسوا المشروع وارادوا خرابه واغلقوا المدرسة ، فجاء الخوري يعقوب الحاج وتكفّل للراهبة بمحل لاقامتها وللتعليم ، واعدها بكل قواه حتى وفاته سنة ١٨٧١ ، وبعد ذلك شاء الله ان يمتحن باخوص فاصاب زوجته داء عضال جعلها طريحة الفراش مدة ١٨ سنة ، عاجزة عن كل حركة ، فانفق عليها ماله بدون جدوى ، فتوفيت سنة ١٨٨٨ واما هو فعاش بعدها مدة وتوفي سنة ١٨٩٧ . ولما كان سليم القلب صالح الاعمال محسناً الى الكنيسة ، رقّاه المطران يوحنا الحاج الى درجات المرتّل والقارئ والشمماني في كنيسة دير سيدة الحقلة في ٢٧ تموز من سنة ١٨٦٩ ، كما يُستفاد من شهادة ترقيته[2] . وكان في نيته ان يقيم في المكان الموقوف منه عوضاً عن المعبد الذي زمّمه كنيسة جديدة ، فشيد منها الحائط القبلي وقسماً من الشرقي الغربي ، اما حال دون انجازها قلة ذات اليد ، فدفعت الغيرة الخوري منصور فأخذ على عاتقه تتميم هذه المهمة من ماله الخاص ، وباشر العمل سنة ١٨٩٢ ، واكمله سنة ١٩٠٠ . وبعد ذلك شيّد سكرستيا بنى لنفسه في داخلها مقبرة لم يجعل حقّ الدفن فيها الا لمن كان كاهناً من صُلب اخيه . وهذه الكنيسة لا تزال تؤدي للقسم الاعلى من القرية خدماً جلى في ممارسة واجباتهم الدينية[3] .

١) السجل ص ٩٧ وما يليها .
٢) السجل ، ص ١٠٠ وما يليها .
٣) النبذة التاريخية ، ص ١١٩ وما يليها .

(له صلة)

البطريرك ارميا العمشيتي

بقلم المخوري يوسف العمشيتي المرسل البطريركي

٣

واستمرّ البطريرك يسوس الكرسي الانطاكي بغيرته وحكمته المشهورتين خمس عشرة سنة بعد عودته من رومة ، الى ان انتقل الى رحمة الله ، في دير سيدة ايليج في ميفوق سنة ١٢٣٠ . بعد ان اقام مدة في دير سيدة يانوح ، في جبة المنيطرة ، في بلاد جبيل.

ومهما يلفت النظر الى هذا الرجل البار اقوال مؤرخي حياته الثقات ممن تسامَوا عقلاً وفضيلة وآداباً وعلماً ودقة كالبطريرك اسطفان الدويهي والمطران جبرائيل القلاعي ، وامثالهما ، ممن يركن اليهم ويرجع في الامور الى قولهم.

قال حجة المؤرخين البطريرك اسطفان الدويهي في سلسلة البطاركة :

نشأ البطريرك ارميا العمشيتي في قرية عمشيت من بلاد جبيل . وكان رجلاً بارًّا ذا غيرة جزيلة جعل مقامه في قرية يانوح . ودخل رومية بنفسه وحضر المجمع الذي انعقد في لاتران في ايام البابا زخيا الثالث. وسنة ١٢١٥ رجع الى دير سيدة يانوح وفي سنة ١٢٣٠ انتقل الى رحمة الله برائحة القداسة في دير سيدة ميفوق .

قال الطيب الذكر المطران يوسف الدبس في تاريخ سورية ، في بطاركة الموارنة في القرن الثاني عشر فصل ٢ عد ٨٥٨ :

« روى البطريرك اسطفان الدويهي وابن القلاعي : ان البطريرك ارميا العمشيتي كان يوماً يقدس بحضرة البابا زخيا الثالث. ولما انتهى الى رفع القربان رفعه وبقي معلقاً فوق رأسه . فعظم البابا قداسته ، وامر بنقش صورة هذه الآية على جدار الكنيسة . ثم استلى الدويهي قوله :« وبقيت هذه الصورة

الى ايامنا في كنيسة القديس بطرس القديمة . ولما اعتراها التغير بتمادي الزمان أمر بتجديدها البابا زخيا الثالث عشر في سنة ١٦٥٥ . على ما كانت اولاً . والى ذلك اشار ابن القلاعي في زجليته عن المجامع:

« في رومية قدس قدّاس وقفت الشيله فوق الراس
والبابا كان بجانب الكاس وعينه تنظر الاسرار »

وروى هذا الحادث ايضاً المطران داود بن جوسلن الحدشيتي ، اسقف زاوية رشمين : «انه سنة ١٢١٣ سافر ماري ارميا لرومية ، ولما اقام القداس وقفت الشيله بين يديه بقوة الروح القدس. ولما رأى البابا هذا الامر المستغرب تعجب وصدق قوله وكرازته واعطاه التاج والخاتم .»

هذا وزيادة للفائدة ننشر ما ذكره ابن القلاعي عن البطريرك ارميا في زجليته المشهورة قال:

ملك جبيل صار في الاطراف يحارب مع هولاي الاشراف
ولكن من الحرم كان بيخاف ومن ترعزع الايمان
طلب البطرك ارميا وقال له نحن اليوم احيا
حروم البابا ليس هي اشيا نعادلها لكلمة انسان
قوم احتال في شعب هارون وانت بوحدك ارفي القانون
وانا راضي اكون مدبون واتفق ما تتاز الآن
ادخل لروميه في حركه وحل الحروم وهات لنا بركه
واكون انا ورأيك شركه في الملك والايمان
قال له طوع امر المخدوم برجع امشيت اعلم القوم
ورتب من يخدم في اليوم ويمضي بطوعك ما اخان
قال ما عاد لك رجعه لان المراكب تروح سرعه
الرعيه انا بسمى وشمالك حاضر الان
سافر البطرك في ذاك الليل لا لابس ولا راكب خيل
ولا ودع من تلك الجيل ولا وصّى له في انسان
شماس معه كان من هايل في حضنه كتاب الانجيل
وشحيم صغير لخف التحميل تراه الناس حافي عريان

دخل رومية بزي شحاد وخاطب البابا والاساد
وقد عرفوه تلك الفصاد وقالوا بطرك جبل لبنان
بكى البابا لما نظره وترع منه ثيابه وستره
وسأله من اين جاء خطره ومن اين تشلّح وهو عريان
شال أوراه كتاب الانجيل وقال هذا اوعاني خليل
واستحيت من شرفه تبجيل انظر قدمك في اطمئنان
واتبارك من اقدامك واخضع واسجد قدامك
طامع اموت واحيا امامك ولا جادل في نقل انسان
وشعبي قدامك خاضع ومن تحت اقدامك طايع
وكل ما تأمر له سامع لاجل الاعتقاد والايمان
مبهوت وجيت زاير قدمك واعيش من تحت حافر فرسك
تايب يدوع دعيت قدمك انعم عليّ في احسان
خليفة بطرس لا تقعد وتطرد من حولك ساجد
من تقدم لقدمك ليس تبعد وتبث تايب للتيران
ان كنت اخطيت انا تايب وقاصد ليس راجع خايب
واجب على قدمك واجب تمسح الدمع من الاعيان
بكى البابا ومن حوله لما افتهموا قوله
قالوا قديس نخضر له وفعله بنبينا الآن
عار بطرس صعد الشماس وبدا البطرك في القداس
وقنت الشيله فوق الراس والبابا ناظره في الاعيان
نقر في البطرك وقال له اقبل يخلصك من مجد الباطل
جاوبه على يدك تنزل انا خاطي من اثامي فزعان
نظروا اتضاعه باقواله طلبوا تضرع في حاله
وكلما طلب منه نالو وصار عنده سرور وفرحان

وفي الختام :

الف ومايتين وثلاثين عام البطريرك ارميا تنيّح ونام
وفي ميزوق قبره اعلم حافظ السنّة والايمان (١

---

١) نقلًا عن المجلة البطريركية لصاحبها ومحررها حضرة الاب السالم بولس قرألي (الجزء التاسع صفحة ٦١٠-٦١٢)

مجموعة صور قديمة منها صورة البطريرك ارميا المشيخي

S. Hieremia
Patriarcha Antiochena

البطريرك ارميا العمشيتي

ان صورة البطريرك ، التي صدّرنا بها هذه الترجمة ، نقلناها عن إطار يحتوي على رسوم كثيرة قديمة :

اولا رسم البطريرك ارميا المشيتي ، وتحته كتابة بحروف سريانية ولاتينية: ܩܕܝܫܐ ܐܪܡܝܐ ܐܒܐ ܕܐܢܛܝܟ

S. Hiermia Patriarcba Antiocbeno

ثانياً رسم دير في سفح جبل سينا ، حيث تسلّم موسى لوحي الوصايا ، ويوجد رفات القديسة كاترينا . وتحته هذه الكتابة :

Monistero a pie del monte Sinai dove Mose priglio le tavole della Legge, e dove giace il corpo di S. Catterina.

ثالثاً رسم الشهيدين بطرس ومرشليوس ، وتحته هذه الكتابة :

Clementi XI. Pont. Max. Fundatori. Monachi. Maronitæ Montis. Libani. ordinis, S. Antonii Magni Grati. Animi. Ergo.

رابعاً اسم دير الشهيدين المنوّه بهما ، وتعلوه هذه الكتابة :

Forma del Monistero de SS. Pietro e Marcellino Fondato in Roma da N. S. PP. Clemente XI per. li Monaci Maroniti Lanno 1707 genaio 16.

خامساً رسم القديس يوحنا مارون ، وتحته كتابة بحروف سريانية ولاتينية ܩܕܝܫܐ ܝܘܚܢܢ ܡܪܘܢ ܐܒܐ ܐܢܛܝܟ.

S. Jo. Marone Patriarca Antiocbeno

سادساً رسم اول دير أسسه القديس انطونيوس الكبير في برية الاسقيط في مصر دون باب يشرف على البحر الاحمر ، ويصعد اليه بحبل.

Forma del primo Monistero fondato da S. Antonio Abate senza porta, nel deserto della Tebaide donde si vede il mar Rosso.

وبمناسبة ذكر دير الشهيدين بطرس ومرشليوس الذي اسسه السعيد الذكر اكليمنضوس الحادي عشر سنة ١٧٠٧، وسلمه لرهبانية القديس انطونيوس، اذكر هنا ما قاله لي احد اباء الرهبانية الافاضل الطيب الذكر المرحوم الاب طانيوس

المشمشاني ، وكان مدار حديثنا البطريرك ارميا العمشيتي وامر الاعجوبة المنوّه بها ، فاجابني رحمه الله انه كان عندهم في الدير المذكور صورة البطريرك يقدم الذبيحة الالهية وارتفاع القربان فوق رأسه بحضرة البابا زخيا الثالث ، في اطار كبير رسم ريشة اشهر المصورين .

واما امر الخلاف الذي وقع بين كتبة هذا العصر بسبب الكتابة التي عثر عليها العلامة المطران اسطفان عواد في كتاب الاناجيل القديم ، الموجود الان في المكتبة الماديشية في فيرنسة ، فقد فصل بفضل واجتهاد حضرة القس طوبيا العنيسي الذي اكتشف صاحب هذه الكتابة ، وهذه صورتها مترجمة عن السريانية بحروفها :

« في سنة ١٥٩٠ يونانية في اليوم التاسع من شباط اتيت انا الحقير ارميا من قرية دملصا المباركة الى دير سيدتنا القديسة مريم بميفوق في وادي ايليج الى سيدنا بطرس بطريرك الموارنة ورسمني بيديه المقدستين مطراناً على دير كفتون المقدس الذي على ضفة النهر وبقيت هناك اربع سنين وكان سكان الدير المذكور: الراهب حزقيال ورفيقه الراهب اشعيا والراهب دانيال والراهب يشوع ورفيقه ايليا والراهب داود واثنين وثلاثين راهباً آخرين. وبعد انقضاء السنين الاربع طلبني امير جبيل والاساقفة ورؤساء الكنائس والكهنة والقوا قرعة فاصابتني وصيروني بطريركاً في دير حالات المقدس ثم ارسلوني الى رومة المدينة العظمى وتركت اخانا المطران توادورس يدير الرعية ويهتم بشؤونها ٢٢ (الجامع المفصل للمطران يوسف الدبس ص ١٩٧)

واذ لم يذكر الدويهي في سلسلة البطاركة غير اسم البطريرك ارميا العمشيتي، نسب كتبة الاعصر المتأخرة الكتابة المذكورة اليه . مع انها كتابة ارميا الدملصاوي عينه الذي انتخب بطريركاً في دير حالات سنة ١٢٨٢ ، بعد انتخاب البطريرك العمشيتي بثلاث وثمانين سنة . وقد فاتت الكتبة المذكورين معرفة بطريرك آخر بهذا الاسم فاخذوا في شعاب الرجم وضربوا في اودية الحدس والتخمين ، كما قال مكتشف هذا الاثر التاريخي الذي زال بعده كل اشكال وغموض . وقد اتى المذكور بما اثبت هذه الحقيقة بمستندات تاريخية لا موضع

فيها للشبهة ، نقلًا عن سجلات مملكة اورشليم للمؤرخ دوريخت .

« في قلعة انفه (Nefin) ، سنة ١٢٨٢ ، القريبة من طرابلس اجتمع امير انطاكية وحاكم (Comes) طرابلس والشهود الموقعون في ذيله وصرّحوا قائلين ان غويدن صاحب جبيل المهيّج من معلم الهيكل غويلم دي بوجويك حاول ثلاث مرات الاستيلاء على مدينة طرابلس . وبين الشهود الذين وقعوا على الصك يوجد اسم بطريرك الموارنة هكذا : الاخ ارميا بطريرك الموارنة والاخ ابراهيم رئيس اساقفة رشمين »[1]

وقد ورد في تاريخ جزيرة قبرس للمؤرخ دي فاس لاتري : في ١٨ شباط سنة ١٢٨٢ في حصن انفه (Nefin) بالقرب من طرابلس ، كُتب صكّ امام المسجل بحضرة امير انطاكية وبحضر شهود كثيرين على المحاولة الثلاثية التي حاولها غويدن صاحب جبيل بتهييج معلم الهيكل لانتزاع طرابلس من يد امير انطاكية ... وهنا عدّ اسماء الشهود الكثيرين حتى بلغ اسم البطريرك ارميا فقال : الاخ ارميا بطريرك الموارنة ، ورفيقه الاخ ابراهيم رئيس اساقفة عرقه . والاخ يوحنا رئيس اساقفة رشمين ...

توفي البطريرك ارميا الدملصاوي سنة ١٢٩٧ . وهو الذي ارسله امير جبيل والشعب الى رومة كما تقدم القول .

ويستفاد من الكتابة السريانية بخط بطريركنا المشيتي على كتاب الاناجيل المختصّ به — وهو الكتاب الثاني من الكتب السريانية التي ذكرها اسطفان عواد في كتابه «فهرست المكتبة الماديشية» عدد ٢ — بان الراهبتين ساره والراهبة الاخرى كانتا ابنتي داود انقطعتا لعبادة الله محبّستين في احدى قلالي الدير ، ثم استحبستا في دير مار سركيس حردين . وقد كان عند الموارنة امثال هاتين الحبيستين مثل كودا ومارانا راهبتي القديس مارون[2]

---

١) يوقع البطريرك امضاءه بلفظة اخ لمخاطبته الفرنج الذين هم اخوته بالايمان .

٢) قال العلامة اسطفان عواد ، بعد ايراد هذا الخط ، انه كان بالقرب من حردين ديران قديمان جدًا حذاء كنيسة القديس سركيس . احدهما كان كرسيًا بطريركيًا مدة من الزمن ومقامًا لرهبان كثيرين من الموارنة . والثاني ديرًا للراهبات ، وبقي الديران الى سنة

* اما صور الكتابة فهي اولًا : «انا عبد المسيح ارميا البطريرك وقفت هذا الكتاب وما تركه داود ويوسف لديري وقفاً مؤبدًا . وكل من اخذه كان ملعونًا من الله ومن كهنته»

ثانياً في الصفحة ٢٦ من الكتاب المذكور ما تعريبه عن السريانية :«قد استراحت وانتقلت من هذه الحياة عالم الشرور الى العالم الآخر المفعم بالسرور الراهبة ابنة داود يوم الجمعة في اليوم السادس من تشرين الثاني سنة ١٥١١ يونانية (١٢٠٠ م) »

ثالثاً في صفحة اخرى ما تعريبه : « قد استراحت الراهبة سارة بعد عشرة اشهر من تحصُّنها يوم الاحد في الثامن من آب . فلتكن اهلًا للذكر الصالح لانها تعبت كثيرًا في دير القديس سركيس مع باقي الراهبات اولاهنَّ الله السلام والراحة مع العذارى الحكيمات »

وقصارى ما نقول ان البطريرك ارميا العمشيتي كان رجلًا قديساً غيورًا على الايمان الكاثوليكي ، فكان يستميل اليه قلوب سامعيه لا بتعاليمه وارشاداته فقط ، بل بمثله الذي كان يحدث في القلوب اشدّ تأثير . ولئن فاتتنا امورٌ كثيرة من اعمال هذا الرجل البار ومعرفة دقايق حياته ، فليس عجباً ، وقد اتلفت تصاريف الزمان ما كان من الآثار مع اضطراب الاحوال السياسية وتقلب الحكام والولاة في تلك القرون .

١٤٥٠ . وبعد ترك الرهبان والراهبات الديرين لتوالي صروف الدهر (المطران يوسف الدبس : الجامع المفصّل عدد ٣٣ ، ص ٢٠٥)

الرسالة الحاتمية

فيما دافع النبي في سره كلام ارسطو في الحكمة

نشرها عن مخطوطتي المكتبة الشرقية (بيروت)
فؤاد افرام البستاني
استاذ الآداب العربية في كلية القديس يوسف

نشرة ليبسيك عن نسخة استانبول

بعد طبع ما تقدّم، كتب الينا حضرة المستشرق الفاضل الاستاذ اغناطيوس كراتشقوفسكي (Kratchkovsky)، من لينينغراد، ان مجلة «الاسلاميات» (Islamica) التي تصدر في ليبسيك، نشرت، سنة ١٩٢٦، صورة شمسية لنسخة من الحاتمية مع ترجمتها الالمانية بعناية المستشرق ريشر (O. Rescher). فرجعنا الى المجلة المذكورة، واذا فيها صورة الرسالة على غاية ما يكون من الوضوح، وهي مأخوذة عن نسخة موجودة في استانبول[1]. وفي هذه المدينة بضع نسخ للرسالة منها النسخة التي بُنيت عليها طبعة الجوائب المتقدّم ذكرها. اما نشرة ليبسيك فذات ٢٦ صفحة، تشتمل على ٩٨ مقابلة، وهي تقرب في ترتيب اكثر الفقرات من طبعة الجوائب. اما مظهرها فأشبه بمظهر المخطوطة ٣٤٢ في المكتبة الشرقية، من حيث كتابة النثر بحرف صغير والشعر بحرف كبير جميل مضبوط بالشكل. ولكن لا مقدمة فيها، [illegible] رأساً بعد «بسم الله الرحمن الرحيم»، وتنتهي بـ «كملت الرسالة بحمد الله وعونه وحسن توفيقه. الحمد لله وحده وصلواته على نبيّه سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم. حسبنا الله ونعم الوكيل»، دون ذكر الناسخ ولا تاريخ النسخ.

هذا وقد طالعناها فاستفدنا من الاختلافات القليلة التي توردها، وذكرنا المهمة منها في الحواشي مشيرين الى النسخة بحرف ل، شاكرين لحضرة الاستاذ كراتشقوفسكي عنايته واهتمامه.

---

(١) O. Rescher, *Die Risâlet-el-Hâtimijje* [*Islamica, II, 3 (1926) p. 439-473.*]

٢٧ قال ارسطو

الكلال[1] والملال يتعاقبان[2] الاجسام لضعف آلة[3] الجسم[4] لا لضعف آلة الحس[5].

[١٦ و] قال النبي

واذا الشيخُ قال: «أفٍّ!»، فما ملّ حياةً؛ وانما[6] الضعفَ ملّا.

٢٨ قال ارسطو

الانسان شبح نور[1] روحاني ذو عقل[2] غريزي، لا ما تراه العيون من ظاهر[3] الصورة.

قال ابو الطيب

لولا العقولُ، لكان أدنى ضَيغمٍ أدنى الى شرفٍ من الإنسانِ.

٢٧ هي الفقرة ٢٨ في ق ول، و٤٦ في ت.
١) في ق: الكلام ٢) في ق: يتعاقبان على.
٣) سقطت في ت. ٤) سقطت في مم. اما ل فاسقطت: «لضعف آلة الجسم لا»
٥) في ت: الحس. ٦) في ت: ولكن.
والبيت هو ٢٧ من القصيدة المذكورة في الفقرة السابقة (د: ٤٣٠)

٢٨ هي الفقرة ٥١ في ت، و٩٥ في ق، و٣٤ في ل
١) سقطت في ت. وفي ل: النور الروحاني.
٢) ذو عقل: كذا في جميع الاصول الا م وهم فاوردنا: وعقل.
٣) في ل: ظاهرًا.
هو البيت الرابع من قصيدة في مدح سيف الدولة مطلعها:
الرأي قبل شجاعة الشجعانِ هو أوّلٌ، وهي المحلّ الثاني (د: ٤٣٩ – الروائع ١٢: ٤٨)

٢٩ قال ارسطو

النفوس البهيميّة ساكنة الاجسام الترابية ، ولذلك[1] يصعب عليها مفارقة اجسامها . والنفوس الصافية بضدّ ذلك .

[١٧ق] قال ابو الطيب

إلفُ هـذا الهواء أوقع في النَفْ سِ[2] أنَّ الحِمام مُرُّ المَـذَاق

٣٠ قال ارسطو

يقبح[1] بذي الجدة[2] ، ان يفارقه الجود ، لانهما اذا اعتدلا كان[3] اعتدالهما كالشيء الواحد ، ويحويهما انسان .

قال المتنبي

والغِنى في يـد اللئيم قبيحٌ قدرَ قبح الكريم في الاملاقِ .

---

٢٩ هي الفقرة ٩٦ في ق ، و٣٥ في ل . اما ت فلم ترد فيها الفقرة .
١) في ق ول : فلذلك . ٢) في ق ود : في الأنفس .
والبيت هو ٣١ من قصيدة في مدح ابي العشائر الحمداني مطلعها :
أتُراها لكثرة العُشّاق تحسب الدمعَ خِلقةً في المآقي !
(د : ٣٤٥ – الروائع ١١ : ٣٥)

٣٠ هي الفقرة ٤٠ في ت ، و٣٦ في ل . اما ق فلم تذكرها .
١) في ت : قبيح . ٢) في ت بذي الجوده .
٣) في ت : كانا كشيء واحد ، ويحق بها انسان .
والبيت هو ٣٤ من القصيدة المذكورة (د : ٣٤٥ – الروائع ١١ : ٣٥)

٣١ قال ارسطو

العاقل لا يساكن شهوة الطبع لعلمه بزوالها ؛ والجاهل يظن انها خالدة[1] له ، وهو باقٍ عليها . فهذا يشقى بعقله ، وهذا[2] ينعم بجهله .

[٢١٧و] قال ابو الطيب

ذو العقل يشقى ، في النعيم ، بعقله ؛
واخو الجهالة ، في الشقاوة ، ينعمُ .

٣٢ قال ارسطو

الصبر[1] على مَضَض السياسة[2] يُنال[3] به[4] شرف الرئاسة[5] .

قال المتنبي

لا يسلم الشرف الرفيع من الاذى حتى يُراقَ على جوانبه الدمُ !

---

٣١ هي الفقرة ٤١ في ت ، و٦٣ في ق ، و٣٧ في ل .
١) في ت : باقية وهو باقٍ . ٢) في ل : وذاك .
٣) في ت : بالشقاوة .
البيت هو ٧ من قصيدة في هجاء ابن كَيَغْلَغ ، مطلعها :
لهوى النفوس سريرةٌ لا تُعلم ! عَرَضًا نظرتُ ، وخلتُ أني أسلَمُ !
(د : ٦٢٠ — الروائع ١١ : ٢٢٣)

٣٢ هي الفقرة ٤٢ في ت ، و٦٤ في ق ، و٣٨ في ل .
١) في ت وق : بالصبر . ٢) في ت : الرياسة . وفي ل : الزمان .
٣) في ت : تنال . وفي ل : تبال ، وهو تصحيف .
٤) سقطت في ق . ٥) في ت ول : النفاسة .
والبيت هو ١٠ من القصيدة المذكورة (د : ٦٢٠ — الروائع ١١ : ٢٢٣)
وقد اضافت ل البيت التالي وهو :
ومن المداوة ما ينالك نفعه ومن المودّة ما يضرّ ويؤلم
دون ان تذكر حكمة ارسطو الموافقة له ، وستأتي في الفقرة ٨٢

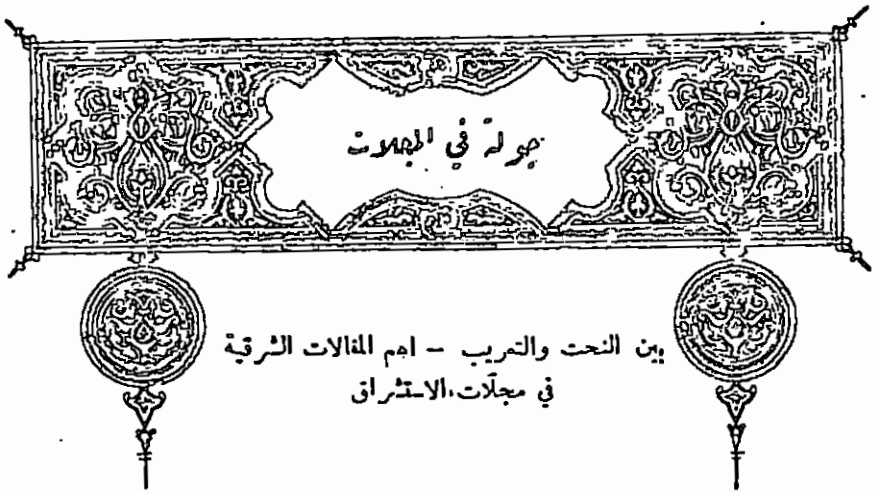

بين النحت والتعريب – اهم المقالات الشرقية
في مجلات الاستشراق

بين النحت والتعريب

ينشر احد ادباء المصريين ، في مجلة المجمع العلمي العربي الدمشقي ، سلسلة مقالات بعنوان « ادبنا القومي » ، وبتوقيع « باحث » ، يلخص فيها بعض الآراء المصرية في الادب ، ويدلّ على موقف ارباب المذاهب المختلفة من اللغة والمصر في مصر خاصةً . وقد وقفنا له في العدد الاخير (آذار – نيسان ١٩٣١ ، ص١٥٧ . . .) على كلام في وسائل ترقية العربية ، والسير بها الى مجاراة العصر وعلومه ؛ وفي ما يراه بعض الادباء من ضرورة النحت والاكتفاء به وسيلة الى ذلك ، وما يردّ عليه غيرهم من قصور هذه الوسيلة ، ووجوب الالتجاء الى التعريب ، اي ادخال الالفاظ الاجنبية الى اللغة بعد ان تتكيّف بالصيغ والاوزان العربية . وهذا كلام الكاتب الاديب ، بعد ان ذكر موقف اللغة من مظاهر العلم العصري (ص: ١٥٩-١٦١)

واذن لا بد من حلّ ، وهذا الحلّ لا يمكن ان يكون الا باتخاذ احدى طريقتين لا ثالث لهما : اما الالتجاء بالنحت والاشتقاق وما اليهما من الوسائل الى مطّ اللغات حتى تصيب طرائف المعاني . واما الالتجاء الى التعريب بعد صقل الالفاظ الاجنبية وتسويتها حتى تستقيم اللهجة العربية . وذهب قوم من افاضل العلماء الى هذا ، وخالفهم جماعة من اندادهم الى ذاك . ومن ذلك اليوم نشأ في هذه البلاد ما يدعى بالقديم والجديد ، ونجم من يدعون انصار القديم ومن يدعون أنصار التجديد .

نعم ، لقد اتسع بعد هذا معنى القديم ومعنى الجديد اذ اصبح الى تناوله

فقه اللغة . يتناول الادب في تصرفه واساليبه ومطالبه والغاية منه وغير ذلك، ولهذا شيعة وانصار ، ولهذا شيعة وانصار ...

اسلفت عليك ان الخلاف قد انبث بين من يقولون بالاجتزاء بالنحت والاشتقاق وما اليهما ، وبين من يذهبون الى التعريب . وقامت المناظرات بين الفريقين ، وعقدت المحافل لشهود الجدل والحوار . فكانت اظهر حجة لهؤلاء ان اللغة العربية قد انقبضت من مئات السنين عن اسباب الحضارة ، ولم تشهد هذه العلوم الحديثة ولا عهد لها بهذه الوسائل التي يطلع علينا الغرب بها كل حين . فليس من المعقول ان نصيب فيها ما يغني في كل ذلك.

ومن المسلم به اننا في علومنا واسابنا في الحياة انما نعيش عيالًا على الغرب، وعنه نأخذ ومنه نستمد وبه نقتدي فلا محيص لنا عن التعريب . على اننا لا نكون مبتدعين اذا نحن عمدنا الى التعريب . فلقد اضطر اليه سلفنا العظام في انضر عصور اللغة العربية وازكى اباها ، اضطروا اليه في صميم العصر العباسي حين اريدوا على نقل علوم اليونان وآداب الفرس الى لغة الكتاب العزيز ، ولست تشق كتاباً ترجم او ألف في ذلك العهد في منطق او فلسفة او طب او هندسة او فلك او غيرها ، الا رأيته قد سلك ، في كثير من المواضع، سبيل التعريب .

وابلغ من هذا ان العرب في جاهليتهم على غنى لغتهم الهائل وعلى انهم كانوا أجهل خلق الله بالعلوم والفنون ، لم يتحرجوا من ان يقترضوا كثيرًا من الالفاظ الفارسية والحبشية وينظموها في صميم العربية.

وكان من ابلغ حجج الآخرين ان التعريب لا يجوز الا للعرب . فهم وحدهم الذين يملكون ان يدخلوا في لغتهم ما شاؤا وان ينفوا عنها ما أرادوا. فكل دخيل بعدهم لا يمكن ان يقال انه من لغة العرب.

على ان السابقين في العصر العباسي وما وليه اذا كانوا قد اضطروا في سبيل الترجمة عن بعض مصطلحات العلوم الى ايراد كلمات اجنبية فما كان ذلك ليدخلها في لغة العرب ، بل انها ما زالت تعتبر من لغى اجنبية.

ثم ان العباسيين قد استطاعوا ان يترجموا بالعربية الصحيحة الخالصة علوم

اليونان ، وبديه ان وقوع طائفة يسيرة من المصطلحات الاعجمية فيها لا يخرجها عن عربيتها . اما نحن فاذا طرقنا اليوم هذا الباب فسنجد في كل عشر كلمات واحدة عربية وتسعة معربة ، او على الصحيح اعجمية ، اما لانه ليس في لغة العرب ما يدل على المعنى الحديث ، واما باستسهال الناس للتعريب عن طول المراجعة والتنقيب ، وفي هذا القضاء كله على لغة الكتاب الكريم.

ويرى هذا الفريق من العلماء ان في ابواب النحت والاشتقاق والتجوز متسعاً لكل ما يعرض لنا من معنى حديث وزادوا على هذا انه اذا تعصت لغة العرب عن اداء معنى طريف بعد ان تفر كل تلك الابواب ، وتنفد الحيل والوسائل ، فواجب ان يلجأ الى مجموعات اللغة وما لم يعد يستعمل من مفرداتها فيطلق على ذلك المعنى ، وبذلك نؤدي الغرض من جهة ، ونبعث ميت العربية من جهة اخرى .

اما نتيجة هذه المناظرات الطويلة وفائدة اللغة منها ، فظاهرة في ما يلي:

ثم يحتدم الجدال ، ويستحر الطعن والقتال . ثم اذا الزمن يكر ، واذا الليالي تفر ، واذا اللغة في انقباضها ، واذا المعاني الحديثة ما زالت في اضطرادها ، لا نستدركها على رأي انصار القديم ، ولا تلحقها على رأي اصحاب الجديد .

وعندنا ان الطريقين لازمان ، وكتّاب العربية مدفوعون اليهما جميعاً بدافع الحاجة الملحّة ، وانهم مهما اطالوا الجدال ، سيضطرون يوماً ما – وهذا اليوم قريب – الى الاخذ بالاساليب العملية فيحتذون ويربّون على السواء ، متأسفين على وقت اضاعوه بالمناظرات العقيمة . . .

اهم المقالات الشرقية في مجلات الاستشراق

الروح الدولي

L'esprit international, 1 *janvier 1931.*

A. Papanastasiou, *La première conférence balkanique, p. 3-33*

اول مؤتمر بلقاني

عُقد في اواخر السنة الفائتة (٥–١٢ تشرين الاول) ، في مدينة اثينة ، اول مؤتمر بلقاني . ولم يكن فيه للدول ممثلون رسميون سياسيون ، ولكن

اعضاء الوفود اجتمعوا برضى حكوماتهم . وفي الجلسة الاخيرة اقرّ المجتمعون قوانين مؤسسة بلقانية دائمة (مؤتمر سنوي بعمدته ولجنته الادارية) غايتها العمل على التقريب بين الدول البلقانية الستّ ، وهي البانية ، وبلغارية ، وتركية ، ورومانية ، ويوغوسلافية ، واليونان ، في ما خصّ الاقتصاد ، والسياسة ، والدروس . ولكل دولة الحقّ بان توفد ٣٠ عضواً ، مع ممثلين سياسيين يشهدون الاجتماعات ويكون لهم الحق بالتكلم . وقد كان كاتب المقال رئيس المؤتمر المذكور ، فشاء ان يُظهر غاية المؤسسين ويلقي نظرة اجمالية على المناظرات ، ويبيّن مبلغ تأثيرها . وان اهمية المؤتمر تنتج اولاً عن انه وُجد ، وعقد جلسات قانونية ، ثم عن انه مهّد السبيل للتفاهم بين تلك الدول المتباينة الغايات ، واخيراً عن انه انشأ مؤسسة دائمة ، وستعقد مؤتمرها القادم في الاستانة .

الشرق العصري Oriente moderno, *mars 1931.*

A. Giannini, *La costituzione della Transjordania, p. 117-131*

دستور شرقي الاردن

يجمع الكاتب بدقته المعتادة جميع المعلومات الضرورية للاحاطة بتنظيم امارة شرقي الاردن . فيذكر كيف أنشئت ، ويحدّد علاقاتها بالدولة المنتدبة ، ذاكراً اتفاق القدس (٢٠ شباط ١٩٢٨) وما يعيّنه من سلطة الامير والسلطات الأخر . ثم يلاحظ ان الدستور شحيح بتوزيع الحرية على سكان تلك البلاد واكثرهم من البدو ، حتى يمكن القول ان الانتداب في شرقي الاردن اوسع سلطة منه في اي مكان آخر ، فهو المهيمن على جميع الدوائر ولا يحدث شيء الا بمعرفته واذنه .

شذرات

ازمة الحج الى مكة

هي ازمة محسوسة تجلت بنقص مهم في عدد الحجاج الى مكة هذه السنة، فلم يتقيد من المصريين بذاك الواجب الا ثلاثة آلاف شخص حتى اواخر آذار. واذا عرفنا ان تجارة مكة وما جاورهـا لا تعيش الا من موسم الحج ، واذا عرفنا ان الحجاج ، فضلًا عن قلة عددهم ، لم ينفقوا الّا في حاجاتهم الضرورية ، ادركنا مبلغ الازمة الاقتصادية الآخذة بخناق تلك البلاد. هذا وان الحكومة نفسها تعاني ضيقة مالية شديدة ممـا دفع ابن سعود الى رفع رسوم الجمارك . ولكن هذا الحلّ لم يأتِ بالفائدة المقصودة.

أزمة السكر

ولما كان الحديث حديث أزمـات ، نشير الى انه بين الازمـات المتعدّدة المكوّنة الازمة الشاملة التي يئن منها العالم اجمع ، يلزم ان نخصّ بالذكر ازمة السكر، وقد طالما فتش علماء الاقتصاد عن اسبابها في هذه الايام الاخيرة ، فتساءلوا هل هي نتيجة زيادة الانتاج ام نقص الاستهلاك ؟ واننا نرى السببين يتضافران على هذا الامر، فان الكميات الوافرة من السكر تتراكم كل سنة في المعامل فتثقل السوق العالمية . وان اوربة التي لم تكن تصدر ، لثلاث سنة خلت ، الّا ٨ ملايين طنّ ، نراها تصدر اليوم ١٠ ملايين ، بزيادة مليوني طنّ كل سنة يضافان الى الملايين الكاسدة في السنوات السابقة.

وقد جرّب بعض الاقتصاديين مداواة هذه الازمة ، فعرضوا تقليل انتاج السكر وتخفيف اصداره ، حتى تتساوى الكمية المستهلكة والكمية المنتجة. ورأى غيرهم ان الدواء يكون بزيادة الاستهلاك ، وهو ضعيف كل الضعف في ثلاث من الدول الكبيرة : روسية ، والصين ، والهند ، وسكانها جميعاً نحو من مليار . فاذا بدئ بدعاية شاملة في تلك البلاد ، وزاد استعمال كل شخص

منها عدة كيلوات من السكر سنويًا ، تكاثر الاستهلاك العالمي لهذا الصنف.

على ان هناك تأثير الازمة العالمية في اشتداد هذه الازمة الخاصة . فاذا ما اخذت الاولى بالانحلال لا شك ان الثانية تتبعها في ذلك.

الدول المشمولة بالانتداب الفرنسوي

وضعت دائرة عليا في المفوضية الاحصاء التالي :

تعتبر مساحة الدول الشرقية المشمولة بالانتداب الافرنسي ١٥٠ الف كيلومتر مربع منها ١٢٧,٠٠٠ كيلومتر مربع اراضي دولة سورية ، و١٠,٥٠٠ كيلومتر مربع اراضي الجمهورية اللبنانية ، و ٦,٠٠٠ كيلومتر مربع اراضي الدولة اللاذقانية ، و ٦,٠٠٠ كيلومتر مربع اراضي دولة جبل الدروز.

اما السكان ففي سورية ١,٦٢٠,٠٠٠ ؛ وفي لبنان ٨٠٥,٠٠٠ ؛ وفي دولة اللاذقية ٢٨٣,٠٠٠ ؛ وفي جبل الدروز ٦٠,٠٠٠

ويؤلف اهالي القرى ٦٢ في المئة من هذا المجموع ، واهالي المدن ٢٥ في المئة والقبائل الرحل ١٣ في المئة.

وتعتبر مساحة الاراضي المعدة للزراعة ١,٣٥٠,٠٠٠ هكتار في سورية ، و ٢٠٠,٠٠٠ هكتار في لبنان ، و ٢٥٠,٠٠٠ هكتار في دولة اللاذقية.

الطيران والنور

اذاع روتر حديثًا للبرنس بيسكو قال فيه انه يُطري كثيرًا الطيران ليلًا في جوّ الهند ، نظرًا لشدة الحرّ والاستهداف لهجمات النور نهارًا. وقال : ان طيارتنا انقضت عليها النور مرتين في خلال بضع ساعات : ففي المرة الاولى هاجمت الطيارة من الامام ودخلت الى وسط المحرك ، وذلك على مقربة من الله اباد ؛ وفي المرة الثانية انقضّ النسر من علوّ شاهق بينما كانت الطيارة على ارتفاع ٦,٠٠٠ قدم ، وكان انقضاضه هائل القوة الى حدّ انه ثقب جانح الطيارة المعدني ثقبًا كبيرًا . وكان ذلك سبب الكارثة التي نزلت بالبرنس بيسكو وزملائه.

مطبوعات شرقية جديدة

Joseph Schacht : Der Islam mit Ausschluss des Qoràns [*Religionsgeschichtliches Lesebuch n° 13, 2te erweiterte Auflage*] 1931. *J. C. B. Mohr (Paul Siebeck). Tübingen.*

نصوص لدرس الاسلام

هي نصوص جمعها الكاتب ، وترجمها الى الالمانية ، تسهيلاً لدرس الاسلام. وقد اختارها من تآليف الائمة المشاهير من قدماء ومحدثين ، من حسن البصري حتى طه حسين. الا انه لم يختر شيئاً من القرآن ، لانه يعتبر نصوصه معروفة مشهورة. والمنتخبات تسهّل على الدارسين فهم ميزات الدين الاسلامي كالحديث ، والشريعة ، والعقائد ، والتصوّف ، وما الى ذلك. وقد خصّ الكاتب الفصلين الاخيرين بمختارات من تآليف المصلحين كالوهابيين ، والمصريين امثال السيد امير علي والشيخ محمد عبده . وكل النصوص مأخوذة عن افضل الطبعات ، مذيّلة بحواشٍ قليلة ولكنها ثمينة ، ملحقة بفهرس كامل . فيجدر بنا والحالة هذه ان ننصح بمطالعة هذا الكتاب المفيد حتى للاختصاصيين. ه. ل.

Martin Plessner : Die Geschichte der Wissenschaften im Islam als Ausgabe der modernen Islamwissenschaft[*Philosophie und Geschichte, n° 31*] 1931, 36 *pp. in-8° Prix* 1m, 80, *J. C. B. Mohr (Paul Siebeck) Tübingen.*

نصيب العلم العربي في تاريخ العلم العام

غاية صاحب هذه المحاضرة ان يبرهن بالامثلة اننا نستفيد فائدة جليلة اذا درسنا المؤلفات العلمية التي تركها علماء المسلمين القدماء ، واستعنا بما فيها لتأليف تاريخ عام للعلم . وذلك انه لم يبقَ من بعض المؤلفات اليونانية والرومانية الا ترجمات عربية ، وكذلك في ما خصّ تاريخ بعض الاقاليم او بعض العصور وجغرافيتها ، فليس لدينا عنها الا ما نعرفه عن طريق تآليف العرب.

ه. ل.

A. Sékaly : Le problème des Waqfs en Egypte. [*Extrait de la Revue des études islamiques, 1929, cahiers I-IV*] *Paris, Geuthner.*

مسألة الاوقاف في مصر

هذا بحث تلمّ دقيق في موضوع مهمّ طالما اثار المناظرات الحامية في مصر. وكان أخراها سنة ١٩٢٦—١٩٢٨ ، فقام اعداء الاوقاف يحاربون شرعية المؤسسة نفسها شاكين في اصلها الديني . وهذه المناظرة الشديدة هي التي تهمّ صاحب الكتاب خصوصاً ، فيتبسّط في الكلام عليها ، عارضاً اقوال اعداء الاوقاف والمدافعين عنها ، ذاكراً نشأة هذه المؤسسة ، وتطوّراتها ، وتقلّباتها ، وفوائدها ومضارّها ، مشيراً الى تأثير النظام البرلماني فيها ، خاتماً بالقاء نظرة على حالة الاوقاف الحاضرة في مصر. ج. ل.

Abraham Baumkoller : Le mandat sur la Palestine. *gr. in-8° de 254 pp. Prix : 35 f^s. Paris, Rousseau et C^ie, 1931.*

الانتداب على فلسطين

قام المؤلف ، وهو من دكاترة الحقوق ، بهذا الدرس الدقيق راغباً في توضيح الانتداب على فلسطين وما اتصف به من التعقّد ؛ لانه ، فوق ما تمتاز به سائر الانتدابات من الاهتمام بالارض وسكانها ، يختصّ بصعوبة ذات بال بشأن المركز القومي اليهودي ، فيظهر عنصراً غريباً من عناصر الحقوق الدولية بعد الحرب الكونية. وقد استند المؤلف في درسه الى النصوص المرعية ، والى شروحها وتآويلها الرسمية ، مما جعل لكتابه قيمة خاصة . وهو يبدأ بتوطئة عامة في الانتدابات ؛ وينتقل ، في القسم الاول ، الى درس المظاهر التاريخية والعنصرية الشعبية المتعلقة بالانتداب الفلسطيني ؛ فيصل ، في القسم الثاني ، الى تأسيس الانتداب المذكور وتطوّراته القضائية ، فالى ترتيبه ونظام تنفيذه . هذا ، وان كان من الحقّ ان التطور النهائي لذاك الانتداب يصل الى خلق وطن مزدوج ، فيبقى علينا ان نسأل هل تلك الحالة طبيعية ، وهل هي قابلة للحياة ؟ هو سؤال لم يُجب عنه المؤلف ، لانه لم يطرحه في كتابه. ج. ل.

Stephan Loesch : Epistula Claudiana der neuentdeckte Brief des Kaisers Claudius von Jahre 41 n. Chr. und das Urchristentum. *Eine exegetisch-historische Untersuchung. in-8°, 48 pp. Prix:* 3m,60. *Bader'sche Verlagsbuchhandlung, Rottenburg a. Neckar (Württ.)*

رسالة كلوديوس الى اهل الاسكندرية

ان رسالة الامبراطور الروماني كلوديوس الى الاسكندريين المؤرخة في السنة ٤١ للمسيح من اهمّ الآثار التي حفظتها لنا اوراق البردي . وقد اثار نشرها سنة ١٩٢٤ مناظرات عديدة بين العلماء فزعم بعضهم انها اولى الشهادات عن الملع الذي نشأ في الاوساط اليهودية والمتهوّدة على اثر اظهار الدعوة النصرانية . وعاكسهم البعض الآخر . فلخص المؤلف هذه المناظرات بوضوح تامّ ، واشار الى المآخذ المختلفة ، في القسم الاول من تأليفه . وفي القسم الثاني ، عرض تأويلًا جديدًا لبعض تعابير الرسالة من التي لم يُتفق على تأويلها حتى اليوم ، بانياً رأيه على مقابلات لغوية في تطوّر مدلولات الالفاظ بطريقة لا تقبل الجدل في نظرنا . فيكون ان ذاك « الضرر الوبائي الذي يهدّد العالم » ، ان لم توقف في الاسكندرية دفعات اليهود « القادمين من سورية ومصر » ليس الايمان المسيحي المختمر في قلب اليهودية ، بل الفوضى والاغتصابات الناتجة عن حركة قوية ضد الشعوب السامية

ر . م .

Axel Moberg : Eine syrische Masora-Handschrift in der Universitäts-bibliothek zu Lund. *in-8°, 18 pp. Lund, Haekan Ohlsson* 1928.

Du même : On some fragments of the book of Timotheos Ailuros against the synod of Chalcedon with two facsimiles. *14 pp. in-8° et 2 facsimilés. Même librairie et même date.*

مخطوطة سريانية في مكتبة كلية لوند

لا يزال الاستاذ موبرغ يبذل اهتماماً جديرًا بالثناء باظهار كنوز مكتبة كلية لوند . وقد دخل مؤخرًا في تلك المكتبة نسخة خطية من المساورة السريانية تاريخها سنة ١٥١٦ يونانية (١٢٠٤—١٢٠٥ م) ، وهي مخطوطة ثمينة لا يُعرف منها الّا نسخ قليلة نادرة . ويزيد في قيمتها كونها كثيرة الشروح .

فوصفها المؤلف وصفاً دقيقاً يعود بالفائدة الجمّة على الاختصاصيين . ووقف في المخطوطة نفسها ، التي كان اكتشف فيها سابقاً آثاراً من كتاب الحيريين ، على صفحتين من كتاب تيموثاوس اليروس ضدّ المجمع الخلقيدوني . ومن حسن الحظّ ان هذا المقطع قسم من بعض صفحات ناقصة في نسخة المتحف البريطاني الموسومة بالعدد ١٢١٥٦ . وقد نشر المؤلف صورة المقطع المذكور في آخر الكرّاس .

ب . م .

Cursus scripturae sacrae auctoribus R. Cornely, I. Knabenbauer, Fr. de Hummelauer aliisque Soc. Jesu presbyteris. Commentarii in librum Tobit, *auctore* Romualdo Galdos s. j. 1 *vol. in*-8°, *XX*-350 *pp.*, *Paris, Lethielleux*, 1930.

تفسير سفر طوبيا

تزداد هذه المجموعة ، بعد انتظار طويل ، بمجلّد جديد خُصّ بشرح سفر طوبيا الذي قلّما شرحه العلماء حتى اليوم ، فاتى على غاية ما يُرام من الدقة والوضوح . وقد قدّم المؤلف عليه بحثاً صرف فيه همة خاصة الى المسائل التمهيدية ولاسيما مسألة العلاقة بين سفر طوبيا المذكور واسطورة احيقار ، وحضرة الاب غالدوس يقرّر وجودًا تاريخياً لشخص اسمه احيقار كان كاتباً يهودياً في بلاط الملك سنحاريب .

ب . م .

Harry Elmer Barnes : La genèse de la guerre mondiale. Introduction au problème des responsabilités de la guerre. *Traduit d'après l'édition américaine par* L. Laurent. 1 *vol. in*-8° *de* 555 *pp. Prix* : 30 *f*., *M. Rivière, éditeur, Paris*, 1931.

نشأة الحرب العالمية

هو اتم كتاب واوفاه وثائق ظهر في اميركة عن اصول الحرب العالمية . نال رواجاً مهمًّا حتى رأى الاستاذ لوران ان يترجمه الى الفرنسوية . وقد امتاز به المؤلف ، وهو استاذ التاريخ العمراني في جامعة سميث ، بانه قام بدرس وضعي تام لجميع الاسباب البعيدة والقريبة ، الصريحة والضمنية ، التي ادّت الى تلك المجزرة الهائلة ، وحلّل تحليلًا دقيقاً سياسات الدول : فرنسة وروسية والمانية والنمسة وانكلترة وصربية ، فعرضها جلية واضحة . ولا عجب ان

لا توافق بعض الصفحات الافكار التي كانت جارية مدة تلك الحرب . لان المؤلف اراد ان يستخلص الحقيقة ناصعة من الاوهام التي تغلفها ، وهو يرى ان معرفة الحقيقة كاملة ، التي تنتج العدالة كاملة ، هي وحدها تضمن في اوربة سلاماً نهائياً .

P. Marty : Les Zaouias marocains et le Makhzen. [*Extrait de la Revue des études islamiques*, 1929]. *Paris, Geuthner.*

الزوايا المراكشية والمخزن

هو بحث مختصر في الطريقة الجارية في مراكش لتسليم السلطة الدينية او «البركة» من رجل الى آخر ، ولتسليم ادارة املاك زاوية ما واستثمارها . وفي الظروف التي يتدخل فيها المخزن . والمؤلف يعدّدها كلها ، ويردف الكتاب بذيل فيه بعض الوثائق والمستندات .

J. Calvet : Le renouveau catholique dans la littérature contemporaine. *in*-8°, 397 *pp.* 1931, *Paris, Lanore.*

التجدد الكاثوليكي في الآداب العصرية

نستقبل هذا الكتاب بكل ارتياح ، لانه ، فضلاً عن كونه يجمع المظاهر المتعدّدة لحركة مباركة قد لا يعرفها الكثيرون ، يولي المطالع املاً حياً ويؤثر فيه تأثيراً صالحاً اذ يرى التجدّد الكاثوليكي ظاهراً في شخصيات بعض المؤلفين الفرنسويين وآثارهم التي تتبعها الكاتب وهو من مؤرخي الادب وزنقاده المعروفين . فننصح الادباء جميعاً باقتناء هذا الكتاب ، وكذلك نشير على ارباب التعليم بوضعه في مكاتب طلابهم .

J. Calvet : Un artiste chrétien, Joseph Aubert 1849-1924, 4° *de* 207 *pp. illustré*, 1926, *Paris, Lanore.*

جوزف أوبر الفنّان المسيحي

هذا ايضاً من آثار المؤلف نفسه ، خصّه بفنان مسيحي اشتهر بتقواه وحب عمل الخير ؛ فظهرت شخصيته في اعماله الفنية التي نشرتها بين الجمهور تصاوير برون ، فتذوّقوا ما فيها من صفاء في الفكرة واتقان في العمل . وان يكن هذا الفنّ دينياً فليس ذلك بالمواضيع فقط ، بل ايضاً بالصناعة نفسها وبما تثيره من العواطف السامية .

ج . ل .

الاصول العربية لتاريخ سورية في عهد محمد علي باشا

تولى جمعها ، وضبط قراءتها ، ووضع فهارسها الدكتور أسد رستم

المجلّد الثاني : الاوراق السياسية لسنة ١٢٤٨—١٢٥٠ ه . — ١٧٥ ص ، كبيرة ، المطبعة الاميركية ، بيروت ، ١٩٣١

تكلمنا في «مشرق» السنة الفائتة (٢٨ [١٩٣٠] : ٥٥٦) عن المجلد الاول من هذه المجموعة القيّمة فاثنينا عليه بما يستحق من الثناء . وها هو المجلد الثاني نرى فيه الاسلوب ذاته بما اشتهر به من نقد تاريخي ودقة علمية ، وهو يحتوي على الاوراق السياسية لسنة ١٢٤٨—١٢٥٠ هجرية (١٨٣٢—١٨٣٥م). على ان جميع الاوراق المنشورة لا تنحصر كلها بالسياسة ، بل هناك تذاكر سفر (عدد ١٥٢) ، ووصل باجرة كديش (عدد ١٥٥) ، وحجة بعتق رقيق (عدد ٩١) ، ومراسلات ودّية (عدد ١٠٨) ، ووثيقة بالتزام ملحمة او مسلخ (عدد ١٢٢) ، واذن باعادة بناء كنيسة (عدد ١٢٧) . وبين ذلك ورقة غريبة (عدد ١١٧) تذكر زووقاً يرفع علم دير الكرمل ويطلب اعفاءه من النخرة ، والورقة عدد ١٤٨ تحلّ خلافاً حول كنيسة الصعود في جبل الطور. ولا شك ان اهم الاوراق المذكورة تلك التي تتعلق بثورة فلسطين فتدلّ على ما احدثته هذه الثورة من القلق للمصريين . وقد رتّب الاستاذ رستم جميع الاوراق حسب تاريخها ، ونشرها كما هي بالاصل دون «اصلاح» ، وهو الاسلوب العلمي الدقيق . اما انشاؤها فيدلّ على ما كان عليه القوم ، حتى في الدواوين والادارات الرسمية ، من قلة الاهتمام بالقواعد العربية. ه.ل.

في الزواج المسيحي

رسالة عامة للاب الاقدس البابا بيوس الحادي عشر

ص ٥٤ ؛ ق ٨ ؛ بيروت ، المطبعة الكاثوليكية ، اذار ١٩٣١

عربت ادارة البشير هذه الرسالة تعريباً متقناً قيماً ، وطبعتها بحرف «المشرق» وحجمه ، ونشرتها على قراء اللغة العربية ، شعاع نور يضيء ظلمات

السبيل في وجه السائرين على طريق الحياة ؛ عسى ان تكون دستوراً للابوين في القيام بواجباتهما المقدسة امام الله وتجاه الضمير . والطبعة مبوّبة ابواباً يسهل الولوج منها الى قلب الموضوع. فهي تبسط المبدأ والاساس في تعاليم الكنيسة في سرّ الزواج ، وتنبه الى خيرات الزواج الحقيقي ، الا وهي اولًا الاولاد فتصف منزلة الوالدين وواجباتهم في تربية ابنائهم . وثانياً الامانة الزوجية وما تقتضيه من الوحدة الكاملة والحبّ المتبادل بين الزوجين ، فتتخطى من ثمّ الى الكلام في نظام المحبة، والى السر الالهي الغير القابل الانفكاك وفي ما يؤديه من النعم للزوجين . وتتناول الكلام على الاضاليل المضادّة للتعليم المتعلّق بالزواج ، وعلى الرذائل التي تفسد الحياة الزوجية ومصادرها وعواقبها الهائلة ، وعلى ما تؤدي اليه من الخطأ ضدّ الاولاد والاعتداء على حياة الجنين في احشاء امه . ذلك ما لا يبرّره تحسين النسل مهما تشدّق الضالّون . وقد كشف الاب الاقدس القناع عن فساد اقوالهم في ما علّموه على الامانة الزوجية ، والحرية المحرّمة ، وتحرير المرأة الموهوم ، وفي تكرانهم كون الزواج سرًّا ؛ ونبه الضائر الى اخطار الزيجات المختلطة وازدياد الطلاق وسهولته ، وردّ على الاعتراضات المناقضة عدم انحلال وثاق الزواج ، وشجب الطلاق وعواقبه. ومهد السبيل الى استئصال هذه العادات الرديئة ، وذلك باحياء الاحترام الواجب للزواج في انعام النظر برسمه الالهي واستمطار النعم الالهية عليه بسيرة مسيحية حقيقية ، والانقياد لتعاليم الكنيسة والطاعة لاوامرها . فيجب اذًا ان تعلم قواعد الزواج بغيرة وفطنة ليشترك الزوجان في العمل مع النعمة السرية ، ويستعدا للزواج الاستعداد الواجب ، فيعرفا كيف يتغلبان على العقبات الاقتصادية التي تحول دون تتميم واجباتهما . وان التعاون بين الكنيسة والحكومة لا بدّ منه لصيانة حقوق سرّ الزواج العظيم . وختم الاب الاقدس رسالته بالنصائح الابوية مستمطرًا النعم والبركات على الجنس البشري . فنثني على همة ادارة البشير في تعريبها وطبعها ونشرها هذا الاثر الجميل ، ونرجو من المسيحيين اجمعين ، بل من كل قراء العربية، ان يقتنوه ويحفظوه في عيالهم كدواء ضد الاضاليل العصرية لان فيه كلمات الحياة.

ف. ت.

المسيح في الجسمانيّة

المطبعة الكاثوليكية ، ١٩٣١—١٨٠ ص. متوسطة — الثمن : ٢٥ غ. ص.

مؤلف صغير الحجم عظيم الفائدة يحتوي اربعة عشر تأمّلاً في الآلام التي عاناها القلب الاقدس في بستان الزيتون ، على ما الف التأمل فيها اعضاء شركة « الساعة المقدسة » بكل انحاء المعمور . ويتقدم التأملات نبذة في عبادة « ساعة السجود المقدسة » . وقد جاء الكل مطبوعاً باذن صاحب الغبطة السيد البطريرك الانطاكي الماروني ، منقولاً الى العربية بعبارة انيقة بسيطة ، مما يجتب الصلاة العقلية الى كل المؤمنين ويدرّبهم عليها وليس من يجهل مكانتها في الحياة الروحية . وتسهيلاً لانتشاره جعل ثمن النسخة منه ٢٥ غرشاً سورياً ، فنحث الجميع على اقتنائه والاستفادة منه. ش.ا.

طريق الخلاص

رسالة رعائية وجهها صاحب النياقة القاصد الرسولي السيد فريديان جياننيي الى الاكليروس والشعب اللاتيني في نيابة حلب الرسولية ، بمناسبة الصوم الاربعيني لسنة ١٩٣١

من الميزات الجوهرية التي تفرق بين العهد القديم والعهد الجديد ان الاول يعلق المواعيد المتنوّعة الجذابة بالسعادة الزمنية على الثبات في الايمان الحق ، وحفظ الشريعة الموسوية . اما الثاني فلم يجدّد تلك المواعيد بل افهم غالباً مؤمنيه بالا يتوقعوا في هذه الحياة الا المصائب والمحن ، وينتظروا الثواب على تعلقهم بالايمان وحفظهم الوصايا بعد مماتهم في الملكوت السماوي.

هذه هي القضية التي تبسط بشرحها ممثل الكرسي الرسولي . وهي تنال من سويداء القلوب ، بما لها من الوقع الحالي تجاه التيار الدافع الى ارتشاف ملاذّ الدنيا ونسيان الآخرة . قد نسمع المسلمين يرددون ان دينهم يكسب لهم سعادة الدارين ، وان في قولهم هذا ، لا فرق بين اليهود وبينهم ولم يأتوا بشيء جديد . فيا ليتهم يقرأون هذه الرسالة فيجدوا فيها الجواب على ما يتهمون به الدين المسيح من مناقضته الطبيعة البشرية ، ويعرفوا اين طريق الخلاص . ف. ت.

طرق التجارة في الشركات

تأليف توفيق نان رويس ، مفتش القلم التجاري بوزارة المعارف العمومية

الطبعة الثانية ؛ ص ٢٠٤ ؛ ق ٨ ؛ مطبعة الاعتماد بمصر ١٣٤٨-١٩٢٩

يشتمل هذا الكتاب على اهم المسائل الفنية والقانونية الخاصة بالشركات التجارية ، وهو موضوع بطريقة مختصرة باسلوب مدرسي ليسهل على الطلاب استذكار ما القي عليهم في التعليم التجاري . صدّر المؤلف الكتاب بالملاحظات العامة ، وفيها اوضاع الاصول التجارية في تعريف الشركة وانواعها ، ودوّن موادّه في ستة فصول وملحقين . فالفصول تبحث في الشركات وشروطها وبطلانها، وتوضح محتوياتها وصور عقدها او حلّها او تعديلها ؛ وما بين الشركات ميز المؤلف شركات التضامن والتوصية البسيطة والمحاصة (وهي الشركة بدون عنوان ، ولا رأس مال للقيام بعملية او عمليات معيّنة ، يتفق عليها شخصان او اكثر) وشركة المساهمة المحدودة (التي اطلق عليها القانون الانكليزي لفظة «ليمتد» وهي لا تعنون باسم احد الشركاء وانما يطلق عليها الغرض المقصود منها كعنوان لها ، ويكون فيها الشركاء غير ملزمين في الخسارة الا بقدر سهامهم فيها) وجال من ثم بالبحث في محاضر الجلسات الخاصة بالشركات المساهمة وبشركات التوصية بالاسهم . وادخل خلال هذه الفصول تمارين مفيدة يمتحن بها الانسان نفسه على ما تعلمه في الفصل السابق . اما موادّ الملحقين ففيها قرارات مجلس الوزراء الخاصة بالشركات المساهمة ، وصورة المرسوم والعقد الابتدائي والنظام الخاصّ بشركة مصر للنقل والملاحة . والكتاب مطبوع بطبعة انيقة ، وهو سهل المراجعة بفضل تقاسيمه وعناوينه ؛ فلا عجب ان اقرّته وزارة المعارف العمومية المصرية في مدارسها التجارية . فنهنئ عليه المؤلف ونرجو له رواج كتابه في المدارس.

ف. ت.

اهم حوادث الشرق في شهر

١٥ نيسان — ١٥ ايار ١٩٣١

روسية والشرق اهدى صاحب القداسة الحبر الاعظم وسام المهاز الذهبي الى صاحب السمو سيدي احمد باشا باي تونس تقديراً لما ابداه سموه من المحافظة على حرمة الدين المسيحي في مملكته.

لبنان وسورية قام فريق من مسلمي طرابلس بمظاهرة احتجاج على فظائع الايطاليين المزعومة في طرابلس الغرب. فاصطدموا برجال الدرك، فقُتل دركي وأُصيب زهاء عشرة جرحى. والتحقيق جارٍ مجراه.

* تتوالى المناوشات بين عشيرة الموالي وعشيرة الحديديين من عرب بادية سورية. على ان السلطة تبذل المساعي لاصلاح ذات البين.

* احتفل في ٢٣ نيسان بتدشين جسر دير الزور الذي اقيم على ساعد الفرات الكبير، وهو يتألف من ٣ قناطر كبيرة. ويبلغ طوله ٤٥٠ ٢/ مترًا.

* اعترف بطاركة الاستانة والاسكندرية واورشليم بصحة انتخاب السيد الكسندروس بطريركاً للطائفة الارثوذكسية. ولكن هذا الاعتراف لم يحلّ شيئاً من الازمة لانه لم يرضِ الفريق الآخر، ولا يزال المنتخبان بطريركين كلٌّ في منطقته.

* لا تزال مقاطعة شركة الكهرباء والجرّ على حالها.

مصر تنزل الخديوي عباس حلمي للملك فؤاد عن حقوقه في العرش المصري.

* بوشرت الانتخابات النيابية، فكان الاقبال عليها لا يقلّ اجمالاً عنه في ما سبق. وقد فاز حزب الحكومة على رغم معارضة الوفديين والاحرار الدستوريين، فلجأ هؤلاء الى الاحتجاجات والخطب.

تركية تمت الانتخابات النيابية وقد احرزت الحكومة اغلبية مطلقة. واعيد انتخاب مصطفى كمال باشا رئيساً للجمهورية.